الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة
تخصص فكر عربي إسلامي
الموسومة بـ:

سؤال الانسان في الفكر العربي الاسلامي المعاصر

مالك بن نبي انموذجا

إعداد الطالبتين :
- بن رابح حنان
- كليخي حميدة

إشراف الأستاذ:
- راتية حاج

اللجنة المناقشة

- أ. راتية الحاج .....مشرفا و مقررا
- أ. بوعمود أحمد .....رئيسا
- أ. حفصة الطاهر.....مناقش

السنة الجامعية

1438-1439هـ/2017-2018م

شكر وعرفان

سبحان الله ولا اله إلى الله، ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم وصلي اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

نشكر الله عز وجل الذي وفقنلإتمام هذا العمل ونتوكل عليه.

ووقوفا عند قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس" وهذا لان الشكر والعرفان من الصفات الحميدة فنحن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل " راقي احاج" المشرف الذي أعطانا القدرة والقوة لإتمام هذا العمل، لاننسى تشكراتنا إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل من بعيد أو من قريب ومهما اطلنا فلن نوفي بجميع الحقوق من الثناء والاحترام.

إهداء

الحمد لله نحمده ونشكره أما بعد: اهدي هذا العمل المتواضع إلى من أوصى الله ببرهم وطاعتهم من بعده لقوله تعالى

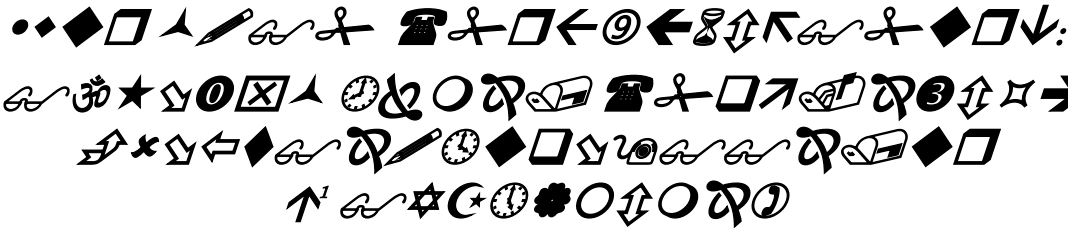

سورة[1] دي هذا العمل المتواضع إلى والدي اللذان طالما حلما أن احمل أرقى الشهادات

والى جميع أفراد أسرتي دون استثناء خاصة الصغيران ، محمد وأمينة

والى كل أساتذتي الكرام، خاصة الأستاذ المشرف راتية حاج والأستاذ بن سليمان الذي بفضله تعلمت طعم النجاح من بعد العناء

والى صديقاتي التي اكن لهن الحب وكا اسما معاني الاحترام: حنان، نجاة، سعيدة، حليمة

والى من اختارني شريكة حياته خطيبي عبد الرزاق

حميدة

[1] سورة النساء الآية 36

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل عليه لولا فضله علينا أما بعد:

اهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي الشمعة التي احترقت من اجل أن تضيء لي الطريق، وكانت سندي وركيزتي في الحياة، ولطالما حلمت أن أصبو إلى اعلي الدرجات

والى جميع أفراد أسرتي خاصة عمتي جزيرة

والى كل أساتذتي الكرام الذين رافقونا طوال مشوارنا الجامعي خاصة الأستاذ المشرف " راتية الحاج"

والى كل صديقاتي التي اكن لهن الحب والاحترام: حميدة، نجاة، سعيدة، زينب، كنزة.

حنان

مقدمة

مقدمة:

إ ن الإنسان هو محور الكون، حيث يعتبر المعجزة الإلهية الكبرى التي تحدد المعنى الحقيقي للعالم لأنه الوحيد من بين الكائنات، التي يمتلك ناصية المعرفة ويستطيع أن يشيد الحضارات، ويبدع في هذه الحياة بفضل نعمة العقل، حيث لا حضارة ولا تاريخ ولا معرفة حقة دون وجود الإنسان، لذا أضحى الإنسان منذ فجر التاريخ هدفا لدراسات وحور للمذاهب الفلسفية في كل العصور، فقد سعت هذه جميعا ضمن اطر مختلفة ودرجات متفاوتة إلى توجيهه نحو الخير والصلاح وحثه على العمل والتمسك بمكارم الأخلاق.

وبمجيء الإسلام نجد انه توجه إلى إصلاح الإنسان وتحريره من العبودية وتحرير عقله من ظلام الجاهلية بغية رفعه والسمو به إلى اعلي الدرجات لأنه أقوم المخلوقات وأحسنها على الإطلاق كما ورد في القران الكريم لقوله تعالى:" ❀🖂■🖬◑↘☪◆✍ ↓☜♦◑♦⑨⇳ ✍◆↘◑■🖬🖂❀ ⇳⑨♦◑♦☜↓

✂✍"💣💧✵○❁🕓⌘ ⌘🕓❁○✵⇳○❐🕮 ☑❼🚫× 🕮❐○⇳○❁🕓Ⅱ⇦

✍♦◑↘❑🖈③⚐🗄 🖈🚫⇦ ² ↑ وقد حمل المسلمون رسالة الدين الحنيف عبر بقاع الأرض فحرروا الإنسان من مضطهديه، ونشره قيم العلم والمعرفة والتسامح والمساواة بين البشر، وفي هذا الصدد نجد أن البلاد العربية والإسلامية جادت بعدد كثير من الشخصيات الفكرية التى أسهمت عبر أحقاب التاريخ في تكوين الفكر الإنساني وإثرائه وتقدمه، وتتشرف بالاحتفاء بهم وتحيي ذكراهم وتجديد الاهتمام بأعمالهم، ونجد من بينهم ابرز مفكري وفلاسفة القرن العشرين مالك ابن نبي الذي تعلقت أفكاره بإنعاش أحوال الأمة من خلال الفهم الحضاري، مسالة الثقافة وشروط النهضة حيث ركز اهتمامه حول مفهوم الإنسان والإنسان المسلم خاصة، رغم انه لم يخصص. إلى انه أدرجه في جل مؤلفاته وهذا أن دل على شيئ فهو يدل على أن الإنسان هو العنصر الأهم المكون للحضارة.

فالإنسان عند مالك ابن نبي هو(الهدف ونقطة البدء في التغيير)، ومن هنا نطرح الإشكال التالي

– ماهي المعايير التي استطاع مالك ابن نبي ان يؤسس بها مفهومه للانسان بصورة عامة والإنسان المسلم بصورة خاصة؟.

[2] سورة التين. الآية رقم 04

وتتفرع عن هذه الاشكالة مجموعة من التساؤلات: ما دور الإنسان المسلم في البناء الحضاري؟ وهل حقيقة يمثل مركزية في المعادلة الحضارية؟ وإذا كانت قضية الإنسان قضية مجتمع فهل علاقتها بالمجتمع علاقة اتصاليةام أنها علاقة انفصالية؟.

إ ن القيام بأي نشاط إنساني يستلزم وجود خلفية ودوافع تحركه لتحقيق غايته، وبحثنا هذا لا يخرج عن هذه القاعدة بحيث أن الدافع الذاتي الأساسي الذي جرنا إلى اختيار موضوع " سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي المعاصر – مالك ابن نبي أنموذجا " كان اختيارنا لشخصية مالك بن نبي لان الجامعات والمفكرين بحاجة إلى اكتشاف فكر هذا المفكر من جديد، لاستقاء أفكاره لان فلسفته تعتبر نقطة تحول مهمة في التاريخ بعد أن كان مهمشا من قبل التيارات السائدة في الفترة التي عاصرها، إضافة إلى هذا النزعة الوطنية باعتباره مفكرا جزائريا.

أهمية الموضوع في الفكر الفلسفي أن يعلم المسلم التفكير المتحرر والتفكير المبادر والتفكير الابداعي والتفكير التحليلي والنقدي الذي يحرر الإنسان ويحرر وعيه ويبادر ويبني في هذا الإنسان الارادة الحضارية والقدرة الحضاري فسؤال الإنسان تناول أيضا في الفلسفات الغربية الأوروبية كهاربرت ماركيوز فمالك بن نبي كانت رايته مخالفة فحاول أن يعيد للإنسان العربي المسلم اماله وقيمته في المجتمع .

وكذلك كان لاختيارنا هذا الموضوع أسباب موضوعية من بينها الرغبة في الاطلاع والإلمام بكل أفكار مالك ابن نبي في المجال الإنساني وحتى البناء الحضاري، باعتبار أن الإنسان هو صانع الحضارات.

أما المنهج المتبع، فطبيعة إشكالية البحث اقتضت استخدام المنهج التحليلي النقدي من اجل دراسات مختلف أفكار مالك بن نبي حول الإنسان، حيث حللنا مقال الإنسان في فلسفة مالك بن نبي وحتى الإنسان وعلاقته بالدين والمجتمع ودوره في صنع الحضارة.

وقد كانت خطتنا في كتابة مذكرتنا كالأتي: مقدمة وثلاثة فصول، فالفصل الأول والثاني يتضمنان ثلاثة مباحث، أما الفصل الثالث يحوي مبحثين إضافة إلى خاتمة.

لقد تناولنا في الفصل الأول: الإنسان المفهوم والإشكالية وقسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول بينا فيه مفهوم الإنسان لغة واصطلاحا وفلسفيا والمفهوم العلمي الحديث للانسان أما المبحث الثاني تم فيه بيان مفهوم الإنسان في الحضارات الشرقية.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه: الإنسان في الفكر الفلسفي، ليأتي الفصل الثاني تحت عنوان: الإنسان عند مالك بن نبي، أين تناولنا فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول تكلمنا فيه عن الإنسان بكل أبعاده أما المبحث الثاني تكلمنا فيه عن فعالية الإنسان في البناء الحضاري وصولا إلى المبحث الثالث الذي تناولنا فيه علاقة الإنسان بالمجتمع ودور الدين والثقافة في التجديد الحضاري.

أما الفصل الأخير فكان قراءة نقدية لفكر مالك بن نبي وقد قسمناه هو بدوره إلى مبحثين، المبحث الأول تحت عنوان مالك بن نبي بقلم معاصرين والمبحث الثاني تحت عنوان مالك بن نبي في ميزان النقد وانهينا مذكرتنا بخاتمة كانت حوصلة للموضوع، وكل ما نرجوه من هذه الدراسة لفكر مالك بن نبي هو إلقاء نظرة ولو طفيفة عن موروثة الثقافي الذي خلفه لنا فيلسوف القرن العشرين، وهذا بغية تسليط الضوء على بعض الجوانب المهمشة في فكره.

أما عن أهم المصادر التي استعملناها في بحثنا هي كالأتي: كتاب شروط النهضة، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، القضايا الكبرى، وجهة العالم الإسلامي، المسلم في عالم الاقتصاد، مشكلة الثقافة، تأملات، ميلاد مجتمع، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، الفكرة الإفريقية الاسياوية في ضوء مؤتمر باندونغ، من اجل التغيير والكثير من كتبه القيمة، إضافة إلى العديد من المراجع التي أثرينا بها بحثنا هذا من بينها تطور الفكر السياسي، العقل البشري محاولة لفهم عصري، الفرد والمجتمع الإنسان المعاصر عند ماركيوس.

القران وقضايا الإنسان، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة مشكلة الإنسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري مالك بن نبي، مالك بن نبي مكرا إصلاحيا، مالك بن نبي من حضارة الكم والأشياء إلى حضارة الإنسان والقيم ضمن رحابة الإنسانية والإيمان وغيرهم من المراجع

وإما عن أهم الصعوبات التي واجهتنا في انجاز بحثنا نجد من بينها صعوبة فهم فكر مالك بن نبي الذي كانت تبرز فيه ثقافته كمهندس بحيث أن معالجته للأفكار كانت بطريقة بناء هندسي، تتداخل فيه كل الأفكار مع بعضها بحيث كان ينتقل من مبحث إلى آخر دون أن ينتهي من العمل الذي بدء فيه ليعود إليه مرة ثانية، بالإضافة إلى ارتباطات الأستاذ بالمهام البيداغوجي وهذا ما صعب علينا أن يعطينا جزءا من وقته.

الفصل الأول

الإنسان المفهوم والإشكالية

المبحث الأول: مفهوم الإنسان:

أ– الإنسان لغة:

الجمع اوناسي المؤنس إنسانة.

الإنسان هو الكائن الحي المفكر وإنسان السيف والسهم حدهما الإنسان المثالي الذي يفوق العادي بقوى يكسبها بالتطور.

الإنسان: من يتميز بسمو خلقه

أناسي – واناسية وآناس .

إنسان: مخلوق حي مفكر بالمذكر والمؤنث وهو مخلوق حي مفكر ارتقى وسمى في تفكيره وأخلاقه هو من السهم أو السيف وهو كذلك بصورة من صور القران الكريم.

الإنسان: اسم حسن لكائن حي مفكر قادر على الكلام المفصل والاستنباط والاستدلال العقلي يقع على الذكر والأنثى من بني ادم ويطلق على المفرد والجمع [1]

ب– الإنسان اصطلاحا:

الإنسان معروف وقوله اقل بنو الإنسان حين عمدتهم إلى من يثير الجن وهي هجود يعني بالإنسان ادم عليه السلام[2]

ج– الإنسان وفق المنظور الفلسفي:

تنوعت النظرة الفلسفية للإنسان وتغيرت تبعا لتطور الفكر الإنساني بشكل عام فقد كان مفهوم الإنسان وفق للفلسفة اليونانية وفقا لتعريف أرسطو على انه مواطن الدولة أو المدينة أما وفق فلسفة أفلاطون فقد كان يقام بين الإنسان والأشياء الخارجية فمن جهة أخرى فان الإنسان عبارة على ذات خلاقة ومبدعة بفضل امتلاكه لملكة التفكير المتمثلة في العقل وعلى الرغم من هذا فان مفهوم الإنسان أو الفرد يبقى ناقص من ناحية فلسفية وذلك نظرا للبعد الميتافيزيقي لذات الإنسانية التي تتصف بأنها ذات عاقلة تمتلك الحرية والوعي والإرادة وتحي وفق القانون والحق ملتزمة بجميع القيم الأخلاقية وتسعى هته الذات بشكل مستمر إلى تحقيق الأفضل في سبيل الوصول إلى الغايات المنشودة والتي يستمر عنها الشعور بالسعادة بالاضافة الى الفلاسفة الآخرون الذين تناولوا الإنسان يذكر شيفلر مفهومين آخرين الإنسان طريق بيولوجي مسدود حياته وحيويته ملغمة بالروح والعلم والتقنية أما كيلجر

[1] موقع شامل الموسوعة المدرسية البحوث، 18-03-2018، 12.38، bohoot.hlogspot.com

[2] المرجع نفسه.

ونيتش " ما ان يتخلص الإنسان من وصيا الله التي تكتم أنفاسه حتى يتسنى له التحكم في مسيره وبلوغ قمم الإنسان الأعلى .

الإنسان عند ابن باجة:

هو كل حي يشارك الجمادات في أمور وكل إنسان يشارك الحيوان غير الناطق في أمور فالحي والجماد بشر كان في ما يوجد اللا طفس والذي ركب منه مثل السقوط إلى أسفل طوعا من السعود إلى الاعلى قهرا ويشارك الإنسان الحيوان الغير ناطق في النفس الغاذية والمولدة والنامية كما بشاركه في الاحساس والتخيل والتذكر وما يوجد عندهما هو النفس، ولكن الانسان يمتاز عنهم بالقوة الفكرية وهو لا يكون إنسان إلا بها[1].

الانتروبولوجيا الفلسفية:

ترجع دراسة الإنسان إلى بدايات الفلسفة استخدمت هته اللفظة أيضا من قبل كانت وهيجل للإثارة إلى حقل خاص في الفلسفة حيث ان كانت لا تتعامل مع الانتروبولوجيا الفيزيولوجية بل مع الانثروبولوجيا البرغماتية أي (ما يصنع به الإنسان) بوصفه كائن يسلك بحرية أما هيجل فيخصص تلك اللفظة لدراسة الروح غير ان الانتروبولوجيا الفلسفية لم تصبح فرعا بذاتها إلا بظهور المثالية الألمانية ذلك ان الإنسان لا يقابل في هذا السياق الله فحسب بل يقابل ايضا الروح، العقل، النفس، الفكر، الوعي، فالانتثوبلوجيا لا تدرس جوانب مفصلة من الإنسان بل الإنسان بوصفه كذلك الإنسان باعتباره كلا بيولوجيا، كائنا فاعلا، مفكرا[2].

المفهوم العلمي الحديث للإنسان:

يعتبر الإنسان مجرد حيوان بلغ درجة عالية من التطور [3] .

[1] بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة ، ج(1)، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 1984م، ص 110.

[2] هوتدرتش، دليل اكستفورترد للفلسفة،(تر)، نجيب الحصادي المكتب الوطني للبحث والتطوير، د (ط)، د (س)، ص 109.

[3] المرجع نفسه، ص 109

المبحث الثاني: الإنسان في الحضارات الشرقية:

أ – النفس الإنسانية عن المصريين القدماء:

"ليس ثمة شعب قديم خلع على فكرة الحياة بعد الموت أهمية كتلك التي خلعها قدماء المصريين ولعل المصريين هم أول من اعتقد بحيات أخرى فيها الثواب والعقاب بعد الموت وقد استمر الاعتقاد بان الموتى يبقون في القبور على الأقل بأجسادهم لفترة طويلة حتى بعد ظهور الآراء التي تتحدث عن آخرة مباركة في مكان أخر في منطقة قصية من السماء بعيدا عن الجسد الموسد في القبر. وعليه فالاعتقاد بالحياة أخروية خالدة اجل من الحياة الأرضية يكون للجسد نصيب فيها هذا ما يؤدي بنا إلى التساؤل عن كيفية تصور المصريين القدماء لماهية الإنسان وتكوينه ولما هية تلك العناصر في الشخصية الإنسانية التي يقدر لها البقاء والخلود بعد الموت"[1].

"الإنسان طبقا لتصور المصري القديم يتكون من جسم مادي مرئي والعقل اللامادي الامرئي ومقره القلب أو البطن ويسمى القسم اللا مرئي باسم الباء (الروح) أما أصل أو مبدأ الحياة الذي يبعث النشاط والحركة في الجسم فلم يكون يميز بينه وبين العقل بوضوح وكان يرمز للإنسان على شكل طائر له رأس إنسان أما ذراعاه فعلى هيئة جناحين محلقين وعند الموت كان الكاهن الجنازي يقف وسط أقارب ومعارف المتوفى لكي يقوم بتلاوة بعض التراتيل الدينية يؤدي بعض الشعائر الخاصة التي تساعد المميت عند وقوفه يوم الحساب على تجاوز محنته طالبا من الإله أن يرأف بالمميت ويدخله ملكوته غير أن هذه الكلمات لم تكن كافية لإعادة الحياة إلى الميت، فالجسم الذي لا حراك فيه"[2].

"وكان غسل الميت يرمز إلى التنظيف البدني، أما تطهيره فكان يرمز إلى التطهير الخلقي ولا سيما بعد تلاوة فصل الرجل العدل من كتاب الكموتى وكان الاعتقاد السائد هو أن الميت يرحل إلى مكان أخر إلى ملكوت بعيد مبارك حيث ينتظره كاؤه هناك والكاء ليس إلا كناية عن شكل ثاني أو قرين للإنسان الفرد وهذا ما يدعونا إلى التساؤل فيما اذا كان الكاء هو احد عناصر الشخصية الإنسانية"[3].

الواقع انه لا شيء واضح في هدا الصدد فبعض النصوص تشير ان الكاء ليست شيء أخر سوى القلب أو الضمير أو الإله الذي يسكن دلخل الإنسان ويراقب تصرفاته ويدين الأفعال الشريرة منه وهناك نصوص أخرى تشير إن الكاء أو الكا ليست سوى ملاك حارس أعلى.

---

[1] فضل الله حمدي، بدايات التفلسف الإنساني الفلسفة ظهرت في الشرق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط(1)، مارس 1993، ص 83.

[2] المرجع نفسه، ص 84

[3] المرجع نفسه، ص 85.

نلاحظ هنا ان الإسلام يقرر تقريبا نفس الشيء ان لكل إنسان ملكين حارسين احدهما يسمى رقيب والأخر عتيد مهمتهما تسجيل كل مالا يقوم به الإنسان من أعمال وتصرفات وعليه فان الكاء ليست سوى ملاك حارس أعلى ينتظر رفيقه الدنيوي لدى مغادرته للعالم الأرضي.

وبرغم من ارتباط الإنسان المتوفي بكائنه فقط كان ثمة خوف من ان يفشل الكاء في التعرف على قرينه.

"وكان كل شخص حتى الملك نفسه في فترة لاحقة في عهد الدولة الحديثة معرضا لمقضات الدنيوية وبذلك لا يمكن للمتوفي الكذب أو النجاة في الآخرة إلا إذا كان شخصا حسن السلوك والسيرة، وكل هذا يكون في محاكمة اوزيريس"[1].

"ومما لا شك فيه أن المحاكمة أولية تكون للقلب أو الضمير والحاسم في عملية تبرأت الميت أمام الإله الأكبر أو عدم تبرئته على اعتبار انه بمثابة الإله الساكن في أعماق كل إنسان فكان لها شان عظيم فإذاعة الاعتقاد بمسؤولية الخلقية في ما يلي القبر. وأوجدت شيوعا عاما عن القيمة البالغة للفضائل الخلقية التي تتمثل في الاستقامة والحق والعدل والتي يصبح بها الفرد مقبولا أو مقربا لدى اله اوزيريس ،بالرغم من جميع الوسائل الملتوية التي كان يلجا لها الكائن التي توهم بأنها هي التي تنجي الميت من كل ما اقترفه من ذنوب وإثم، لذا يمكن القول بان فكرة اعرف نفسك السقراطية فضلا عن فكرة محاسبة الضمير الرواقية عن اليونان هي ذات أصول مصرية ولعل فكرة المحاسبة الأخروية المصرية ترجع إلى فكرة الأمان بوجود الإله داخل كل إنسان متمثلا في سلطان القلب أو الضمير الذي يراقب سلوك الإنسان وتصرفاته ويكون عليه رقيبا وشاهدا ونذيرا وقاضيا"[2] .

ب – الانسان في بلاد الرافدين:

من المعلوم ان التجمعات البدائية قامت على فكرة المشاعية فالمستقرات الزراعية لاقروية عرفت الأمن والاستقرار القائم على التماسك بين الافراد الذين تتحكم فيهم الغيرية والعمل لصالح الجميع دون اثر للانانية الفردية ذلك ان ظاهرة بروز الذات الفردية لم تكن قد ظهرت في تلك المراحل، فالتمايز بين الأفراد لم يظهر إلا بظهور هذه الذات.

"هذه الأخيرة لم تظهر إلا مع نمو وتطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وتراكم المعارف، الأمر الذي غير من الفهم الذي كان يعتبر كل الوجود "ذاتا واحدة". فالواعي المتزايد أدى إلى إدراك الإنسان بأنه (ذات)

[1] المرجع نفسه، ص 85-86.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

تختلف عن ما في الوجود من هنا بدأت تظهر الشخصية المستقلة لتظهر معها الرغبة بالتمييز والتي تصاحبها مظاهر الأنانية والأسرة الفردية"[1].

لقد ارتبطت السلطة في بلاد ما بين النهرين بالتقديس حيث كان الحكام يجسدون الآلهة بصورة أو بأخرى تقديس يبدأ من تمثيل الحاكم للآلهة مرورا بتفويض الآلهة للحكام وانتهاء بتاليه الحكام أنفسهم[2].

لقد كان لهذا النمط من الممارسة السياسية اثر سلبيا ولدت التسلط والاستبداد فالآلهة في الفكر العراقي القديم تكون المدن وتعين حكامها، لقد آمن الإنسان العراقي بنظرية التفويض اللاهي وبالأصل الإلهي للسلطة السياسية فالملك ما هو إلا مرآة للإله نقرا ذلك في مقدمة تشريح حمو رابي [3]، فمن هذا المصدر الإلهي للسلطة كان الإنسان العراقي القديم ينظر للملوك نظرة القداسة والتميز عن باقي البشر لان السلطة أساسها الإله وهي التي تودعها الملوك من المبشر المميزين وحتى عندما كان بعض الملوك يتصفون بصفة الإلوهية فإنهم كانوا دائما ينسبون الفضل للآلهة، أما الشأن الإنساني فلم يتم التطرق إليه في إبعاده الدنيوية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل تم تناوله في صبغة أسطورية ترى أن وجود الإنسان مرتبط بحاجة الآلهة لمن يخدمها ويؤمن حاجاتها.

ج – الانسان في الصين:

مبدئيا لا يختلف الفكر السياسي الصيني عن نظريه في الحضارات القديمة حيث ان مصدر السلطة هو السماء فالملك هو مفوض من السماء لتسيير شؤون البشر ولهذا سميت مملكته (تيان — شان) اي المملكة التي تحكما السماء لقد كانت الطبقة النبيلة تعتبر من سلالات أبطال أسطوريين واصبغت على نفسها صفات الاهية وكانت تعتقد بان أسلافها يراقبون وهم في السماء يحددون مصائر أحفادهم، انطلاقا من ذلك غدا تقديس الأسلاف الأساطير الدين يعيشون في مكان ما في السماء المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه علاقة الأبناء بأسلافهم التاريخين، علما ان الإيمان بالترابط بين الأحفاد والأجداد وظف لصالح الطبقة الارستروقراطية وفقا للمبدأ القائل بان الأنباء الطبقة الارستقراطية يستمدون صلتهم وقوتهم من سلطة وقدرة أسلافهم القادرون هم في السماء على التأثير في الحياة على الأرض.

[1] عمر محمد صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق القديم، المؤسسة الجامعية، لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط(1)، 1998، ص 145.

[2] إبراهيم احمد شبلي، تطور الفكر السياسي، الدار الجامعية، د (ط)، 1985، ص 31.

[3] عمر محمد صبحب، عبد الحي، الفكر السياسي واصاطير الشرق القديم، المرجع السابق، ص 161.

"هكذا وبما ان أبناء هذه الطبقة يختلفون بأصولهم وقدرتهم وسلطانهم عن عامة الناس الذين يفتقرون للأصول المقدسة وبالتالي يفتقدون للرعاية والتوجيه من السماء فقد وجب على أبناء هذه الطبقة الاوروستقراطية استلام زمام كل الأمور وتوجيه العامة الذين عليهم تنفيذ ما تراه هذه الطبقة النبيلة"[1].

لقد كانت ثقافة تقديم القرابين شائعة بل ومستساغا في الثقافة الشرقية فقد كان الإيمان بعون الأسلاف يكاد يكون قانونا عاما ويبدر الا نجد له ذكر في الأدبيات الشرقية فالموقف كان دائما يستلزم الاستعانة بالأسطورة لهذا فلا غرابة ان الملوك كانوا يقدمون القرابين لأسلافهم ويؤمنون بمساعدتهم في مختلف الأعمال وان حكمهم إنما هو حكم بموجب حق الاهي.

"هكذا وظفت الأسطورة لتبرير كل التجاوزات بما فيها الغزو واستخدمت السماء لكي تكون حجية القرار نافذة لا جدال فيها، تقول الأسطورة: بعدما تذكر كيف ا ملك تشانغ كان فاسقا لا يحكم بالعدل عند هذه المرحلة لجاة السماء إلى حاكم حقيق فأصدرت قرارها الواضح المفصل إلى "تانغ الموفق" الذي عاقب وقضى على حاكم هاسيا[2]". لم تكن السماء راغبة في الخلاص من حاكم هاسيا أو حاكم شانغ لكن كان حاكمكم فاسقا تماما، وكان يسخر من الأوامر السماوية لذا أنزلة السماء به الدمار ثم بحث بين إقليمكم العديدة عن شخص قد يكون متيقظا لأوامرها ولكن لم يكن هناك احد يستطيع ان يفعل هذا ومع ذلك فهناك ملكنا "تشو" الذي كان يحسن معاملة الجماهير، "كان فاضلا وفي عناية مكان يرأس تقديم القرابين إلى الأرواح والى السماء ولدا أمرتنا السماء ان تغتنم من فضلها وكرمها واختارتنا القرار الممنوح لي "تتشامغ" لنحكم أقاليمهم العديدة"[3].

"إن تفويض السماء وانتدابها الملوك لحكم الناس انما يستهدف الخير والهناء لهم فإذا لم يتقيد الملوك بعمل الخير وظلموا أو استبدوا وفشلوا في مهمة الحكم الملقاة على عاتقهم فان ذلك يعني فقدانهم حق الحكم وبالتالي تغير السماء حق التفويض أو الانتداب إلى ملك أخر" [4] لكن هذا القول لا يعني حق الشعب في تغيير حكامه بل حق الاعتراض كان مكفولا فقط لطبقة الادارين الذين استخدمو ا العرافين لتحكموا في كل شيء هذا يتبين لنا أن المسألة السياسية كانت محكومة بالأسطورة فأوامر السماء تفوض وتعزل الحكام فهي التي تمسك الكون بأسره

[1] عبد الحي عمر محمد صبحي، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(1) 199، ص 50-51.

[2] كاربل، الفكر الصينين من كونفيشيوس إلى ماوتسي تونق، (تر)، عبد المجيد سليم الهيئة المصرية العاملة للكتاب، د (ط)، 1998، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 33.

[4] عمر محمد صبحي عيد الحي، الفلسفة والفر السياسي في الصين القديمة، المرجع السابق، ص 52.

وتمنح مسؤولية تنظيمية على الأرض لابنها "تين تزو" ابن السماء وهي التي تزوده بالتفويض القوي الذي يلزم رعاياه بالولاء له مما يعطي للملك سلطة.

"إن الواقع الذي يصفه مونشيوس يتميز باستبداد الحكام على حساب المحكومين فالحاكم يعيش على اكتشاف شعبه ولا يعيش ليحيا شعبه، من هنا نادى "مونشيوس" بان التنظيم السياسي والاقتصادي هدفه تحقيق منفعة الشعب وهذا ما يبرز هجومه على الحكم الإقطاعي ودعوته إلى حكومة "الملك المثالي" الذي يعمل على تحقيق مصالح الشعب، فالشعب أهم عامل من عوامل قيام الدولة ووجوده تفوق أهمية الأرض والإنتاج بما لا يقاس" [1].

د – الانسان في الفكر الهندي:

لقد تطورت الفلسفة الهندية تطورا هائلا وعقدا قد يكون تاريخ تطورها أطول من تاريخ أي فلسفة أخرى، مع العلم ان الكثير من معالم هذه الفلسفة يشوبه الغموض والضبابية وعدم الوضوح فكل ما نعرفه عن هذه الفلسفة يكاد يكون بطرق غير مباشرة، بسبب ضياع الكثير من النصوص الأصلية من جهة، وعدم معرفتنا بفلاسفة الهند من جهة ثانية فنحن نعرف عن الفلسفة الهندية أكثر مما نعرف عن فلاسفتها لكننا في عرضنا هذا سوف نركز على إبراز مكانة الإنسان في المنظومة الاجتماعية والسياسية.

" لم تكن الفلسفة الهندية ثامن بالوقوف عند النظرة التأملية بل كامن على الدوام تأكد على الممارسة العملية والسلوك الإنساني المطابق للنظر العقلي وبهذا الصدد يؤكد المؤرخان الهنديان المعاصران كشاترجي وداتا، في كتبهما "الفلسفة الهندية القديمة" ان غاية الحكمة الفلسفية ليس في مجرد إشباع الفضول الذهني وإنما هي بصورة رئيسية بلوغ حياة أفضل ينيرها بعد النظر وعمق الإدراك" من ناحية أخرى لا يختلف الفكر الهندي عن غيره من أفكار الحضارات الشرقية القديمة التي تجعل من الإله المركز والمتحكم في الكون فما دام العالم كما أوضح الإله "كريشنا" ليس له معنى فهو لعبة يلعب بها اله بعد خلقها وبقدرته السحرية يحرك كل الكائنات كأنها دمى في مسرح العرائس" [2]، وبما أن الإنسان جزء من هذا العالم فهو جزء من اللعبة من حيث هو مخلوق الله، فما عليه سوى التسليم في " إطار هذه الرؤية على الإنسان أن لا يتهرب من عمل فرضه عليه منبته (انتمائه الطبيعي) حتى ولو كان فيه ما يسوء فكل المشروعات مصحوبة بأمور سيئة كما أن النار مسحوبة بالدخان على الإنسان أن

[1] فؤواد محمد شبل، حكمة الصين، ج(1)، دار المعارف، مصر، د (ط)، د (س)، ص108.

[2] محمد حسن، التيارات الفلسفة الشرقية، دار علاء الدين، د(ط)، 2008، ص 152.

يعمل وفق إرادة الله حتى ولو كان عمله غير مرضي اجتماعيا حتى المجرم الكبير إذا يجني من قلبه ولا يفكر إلا بوحده يجب أن يعتبر على صواب فيما يفعله لأنه قام بعمله بروح طيبة"[1].

هذا هو واقع الإنسان، واقع لا يخرج عن جبرية مطلقة تغيب الإنسان فحتى في الجانب السياسي لم يخرج الفكر الهندي من تلك الأفكار التي عرفتها الحضارات الشرقية القديمة والتي تستند فكرة الحكم إلى العناية الإلهية فالله هو الذي يعين الملك على رأس الدولة ووفق هذا القانون يحمي الأفراد ويخدمهم والمفروض في الملك انه مكون من عناصر إلهية خالدة لذلك فهو فوق الأفراد إما فيما يخص طبيعة المجتمع فقد تضمن الفكر السياسي الهندي على النظريات العضوية للمجتمع والدولة، "فالمجتمع وفق العناية الإلهية مكون من طبقات مختلفة غير متكافئة لكل منها وظيفتها والدولة وحدة ذات أعضاء كل له ووظيفته المتلاحمة مع الأعضاء الآخرين"[2].

أن النظام التطبيق ي الذي عرفته الهند يؤسس بمنضو حقوق الإنسان في تاريخنا المعاصر لقمة الظلم والاستغلال ولكن الأمر لم يكن كذلك فالمرجعية الأسطورية لهذا التقسيم هي النظام لعدم احتجاج فالميثولوجيا الهندية تنص على أن خير المجتمع يتم دعمه إذا كانت هناك طبقات منفصلة من الأفراد تؤدي كل منها المهام المختلفة التي تقتضيها الحياة الخيرة في المجتمع وفضلا عن ذلك فان هذا التصنيف سيكون في مصلحة الفرد من حيث انه يسهل عليه تحقيق ذاته والوصل إلى النفس الحقيقية إذا ما انخرط المرء في تلك الاشياء التي تناسبه بشكل خاص من حيث الحالة المزاجية والاستعداد والمقدرة الطبيعية يقوم الإعداد البرهمي على أساس تفاوت ولا مساواة بالموجب ذلك ينقسم المجتمع إلى طبقات أربعة يتحدد مكانها الاجتماعي والسياسي انطلاقا من درجة ومكان خلقها.

"فقد جاء في قوانين "مانو" بصدد خلق براهمة للكائنات" ... ثم خلق البراهمي من فمه والكاشتريا من ذراعه والواشيا من فخذه وشودرا من رجله فكان لكل من هذه الطبقات مترتبة على هذا النحو.

طبقة البراهمة، طبقة الكاشتريا، طبقة الواشيا، طبقة الشودرا[3]".

[1] محمد حسن، التيارات الفلسفة الشرقية ا،لمرجع السابق، ص 154.

[2] المرجع نفسه، ص 70.

[3] ابراهيم احمد الشبلي، تكور الفكر السياسي، المرجع السابق، ص 53-54.

المبحث الثالث: الإنسان في الفكر الفلسفي:

أ- الإنسان في الفلسفة اليونانية:

1. سقراط.
2. أفلاطون.
3. أرسطو.

"حتى نستطيع الوقوف على نظرة الإغريق إلى الإنسان لا بدا لنا من جولة سريعة في ميادين حضارته نقف فيها على ما يخص الإنسان نعترض على موقفهم من الإنسان كل إنسان"[1].

كان من الطبيعي أمام هذا الاتجاه الغالب نحو الطبيعة عن الفلاسفة السابقين أن يتوارى الإنسان ويتضاءل الاهتمام به، أين الإنسان في كل هذا الذي سبق؟

1- الانسان عند سقراط

"لقد كان هو الفيلسوف الذي وجه الفلسفة إلى الإنسان بدلا من ان تضل في الطبيعة لأنه هو الذي انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض غير أن الإنسان هو سلوك وعقل، وقد كان سقراط هو الذي حكم العقل في أفعال الإنسان وسلوكياته وحاول أن يصل إلى تعريفات وتصورات أو ماهيات عقلية للفضيلة والرذيلة"[2].

"إن معيار الفضيلة كان يضعها الإنسان ذاته والإنسان يعتمد على قاعدة – ان الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة وان الحواس هي سبيل المعلومات ولما كان الأفراد يختلفون في الإحساس والمشاعر هي التغيير والاختلاف فان مدركاتنا الحسية تكون مختلفة ويكون ما يحس به الإنسان باعتباره فردا هو الحق بالنسبة له"[3].

وكذلك نتطرق إلى أن سقراط بدأ تفكيره "أعرف نفسك بنفسك" تلك هي أشهرعبارة للفيلسوف سقراط ومنها يتم الاستدلال على أنها الإشارة الأولى للنفس بصيغتها العلمية المقننة و"النفس عنده في هذا المقال مزاج لأربعة هي الصفراوي – الدموي – البلغمي – الباري، وهته المعلومات استعارها سقراط من أبقراط ويتحدث سقراط عن الذات بصفتها الهيولي أي الوجود الأول الغير متناهي ويعتبر الذات هي المحرك للكون والوجود"[4].

---

[1] صالح بن احمد الشامي، الإنسان في العالم القديم، مقالات متعددة، 24 - 12 - 2017، ص 21.

[2] هويدى يحيى، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د (ط)، د (س)، ص 24.

[3] عبد الفتاح قعدان زيدان، العقل البشري محاولة لفهم عصري، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط(1)، 2013، ص 15.

[4] دحام سعد عزيز، دراسات في الأبحاث والتراث، الحوار المتمدن، 27-12-2017. ص03.

إذا ما أراد قوله هو أن الوجود الحقيق للحياة قائم في المعرفة والتفحص فما دام هناك إحساس صادر بفعل خارجي يكون هناك تفكير ومع وجود التفكير تتكون الإرادة والوعي ويكون هناك وجود جديد نطلق عليه الذات ويعزز سقراط راية من خلال سيطرة الإنسان على ثلاثة نقاط: الطبيعة – الطبع – السلوك، وهنا رأى أن منطق العقل بعيد عن العواطف والمزاج وجزء أساسي من تكوين الذات وعليه أن سقراط يرى أن الذات في النقاط التالية: ذات الإرادة – ذات علم وحكمة – الذات قدرة على استنباط الأحكام واستقراء الواقع لاستنتاج حلول منطقية.

وبوسعنا أن نقول أن الاكتشاف الحقيقي لسقراط لم يكن العقل ولا الماهيات العقلية بل كان النفس البشرية أي الإنسانية وبعبارة أكثر وضوحا الفطرة الإنسانية انه كان مهتما فقط أن يوجه فقط مواطني أثينا ان هذه الملكة بالذات أو آن لهم نفس الفطرة تختلف بطبيعتها عن الجسد الذي تسكن فيه، "وكان سقراط يلح عليهم بان يولو ا تلك النفس اوتلك الفطرة بالتربية والرعاية حتى تصفو وتشرق وتكون قادرة من تلقاء ذاتها على التمييز بين الخير والشر وعلى أن تصل بمكانتها الذاتية أو ببصيرتها إلى طريق الفضيلة والهداية، لهذا كان الدور الرئيسي الذي قام به سقراط يندرج تحت باب الأخلاق ولا يدخل في باب المعرفة العقلية"[1].

2- الانسان عند أفلاطون:

"تزايد الاهتمام بعالم الماهيات العقلية وأصبح يمثل مركز الثقل في العلاقة بين الإنسان والعالم ولأول مرة في الفكر الغربي تتحدد مهمة الإنسان أو وظيفته في الكون وذلك بربطها بالمعرفة وعلى هذا النحو تم تعريف الإنسان بأنه الإنسان العارف وقد أراد أفلاطون ان تكون للماهيات العقلية موضوعية خاصة بها تباعد بينها وبين أي تأثر بالذات فالفرد لها عالما مفارقا هو عالم المثل" [2]، والمثل في رأي أفلاطون ثابتة لا تتغير وهي أزلية والحواس التي يضعها بعيدة عن العقل غير قادرة وحدها على إدراك المعاني، إذن هناك ثلاثة خصائص أساسية لنظرية أفلاطون وفلسفته ألا وهي عالم المثل وهو النموذج الفريد الذي تقوم عليه حقيقة الوجود والحياة وعالم الموجودات الذاتي الذهني ويقصد به عقل الإنسان الذي من خلاله يتم معرفة الحياة والإدراك وعالم المحسوساة ويقصد به الانطباعات والمحاكاة لعالم المثل"[3]، ومن خلال نظريته في المثل ذهب أفلاطون إلى أن النفس الإنسانية كانت لها حياة سابقة قبل حلولها في الجسد وأتيح لها في هذه الحياة أن تعرف المثل أو الماهيات الثابتة الأزلية للأشياء لكنه؛ا تبنت تلك المعرفة بعد هبوطها وحلولها في الجسد وإذا أراد الإنسان أن يعيد لنفسه معرفته بحقائق الأشياء وماهيتها

[1] هويدي يحى، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 29.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 30.

غلب أمامه إلا أن يتذكر الحياة السابقة التي كانت تحياها نفسه في عالم المثل ولهذا قال أفلاطون "المعرفة تذكر وهو يعني بهذه العبارة أن المعرفة كامنة في النفس الإنسانية [1]"، إذا نظرية المثل الأفلاطونية كانت تمثل أهم أثاره الفكرية فكانت هي محور كتابته في الأخلاق، الفكر والسياسة وقد بنيت نظريته على وجود عالمين عالم العقل أو عالم الإله وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس والضلال وفيه الصور الجسمانية والأشخاص الحسية وكان عالم الحس هو عالم الظواهر المتغيرة وكان عالم العقل هو عالم الحقائق الثابتة وهذه النظرية استبقت بفكرة الخير المطلق كمثل أعلى وهذا المثل الأعلى هو الخير المحض (الله) "إذا هذه الآراء حول نظريته في المثل كان يفترض بها أن توصله إلى الله الحقيقي فلم يجد بدلا من أن يضع الله كعقل في قمة العقول وان الله كخير في قمة الخير (الخير المحض)" [2]، وفي هته النظرية أي نظرية أفلاطون في المثل كان ينص على إقصاء للجسد وكان هذا لعدة أسباب والسبب الرئيسي هو كون الجسد يمثل أمامنا عائقا أمام المعرفة وهذا ما يذكرنا بالأسطورة الأفلاطونية ألا وهي(الكهف.)

اعتبر أفلاطون أن الجسد موطن الأهواء والشهوات والغرائز المتدافعة، وبالتالي فهو موطن الرذيلة ومن هذا المنطلق نحصل على سبب لإقصاء الجسد وإدانته وعدم الاعتناء به في التصور الأفلاطوني، ولان الجسد عائق أمام المعرفة الحقة وجب الاحتراس منه لذلك صاغ أفلاطون أطروحته حول التفلسف كما يلي " أن نتفلسف هو ان نتدرب على الموت " تكشف لنا هذه المقولة أن الإنسان يملك الحقيقة أو المعرفة المطلقة في حالة الموت هكذا تصوره بموجب تدريب الإنسان على الموت وعلى إماتة أهوائه للإبقاء على ظاهرة النفس كالجسد مدنسا في حين النفس طاهرة[3]، إذا يتوضح لنا أفضلية العقل أو النفس على الجسد فالنفس الإنسانية تفكر بشكل جيد عندما تتحرر من الجسد.

من هنا نفهم الدلالة الميتافيزيقية لموت الإنسان، ذلك أن الإنسان غائب رغم حضوره الجسدي فليس الجسد ما يكون به الإنسان أو القول أن الإنسان ليس في جسده .وهنا نستنتج أن الإنسان إنما هو نفسه.

ج- الانسان عند ارسطوا

معرفة الإنسان للعالم عند أرسطو لا تتبع في حركتها حركتي الدياليكتيك الصاعد وديالكتيك الهابط اللذان وجدنهما عند أفلاطون بل تتم أولا عن طريق مجموعة من المبادئ العقلية التي ينشرها العقل على كل الموجودات فينتظم فيها ويتم معرفة الإنسان لها ويعد أرسطو هو مؤسس علم الميتافيزيقيا أو علم الفلسفة الأولى

[1] هويدي يحى، قصة الفلسفة الغربية ا،المرجع السابق، ص 31.

[2] قعدان عبد الفتاح زيدان، العقل البشري محالة لفهمي عصر، المرجع السابق، ص 27.

[3] فوكو ميشال، الفرد والمجتمع، مؤسسة مصطفى أنسو للطباعة والتجارة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، د (ط)، 2009، ص 26.

هو العلم الذي يحدد المبادئ العقلية العامة للوجود، فصورة الإنسان هي ماهية "لهذا ذهب أرسطو إلى انه لا علم لنا إلا ب الكلي أي أنا إذا أردنا أن نعلم حقيقة الأشياء فلا بد لنا من الوقوف على صورتها الكلية التي تمثلها ماهية النوع الذي ننتمي إليه إذا أن معرفتنا لشيء معين لابد أن تجري في جزء من المكان وفي فترة زمنية ولا بد أن تقف على كمه وكيفه"[1].

والعالم عند أرسطو ينقسم إلى عالمين ما فوق فلك القمر وهو عالم الأفلاك التي تتحرك حركة دائرية متصلة وعالم ما تحت فلك القمر وهو عالم الكون والفساد، والى جانب الموجودات المادية والأشياء المحسوسة غيرها.وهته الأخيرة تتحرك بتأثير النفس المزود بها كل فلك.

"ولكن تعريف أرسطو للنفس لا يكتمل إلى ببيان أنواع النفوس عنده فالنفس بالرغم من ان لها تعريف واحد إلا أن هناك أنواع من النفوس وابسط أنواع النفوس هي النفس الغادية التي توجد في جميع الأحياء من نبات وحيوان وإنسان وتشمل على الذوق والشم والصبر والشعور باللذة والألم. والرغبة والنوع والتخيل والتذكر وأرقى أنواع النفوس هي النفس العاقلة التي توجد فقط ومعنى هذا ان الإنسان به أنواع ثلاث النفس العاقلة والحاسة والغاذية والحيوان يوجد فيه اثنان فقط النفس الحاسة والغاذية بوظائفها المعروفة وهي التغذي والنمو والتولد"[2].

لذلك فالنفس عند أرسطو ليست خالدة على عكس ما ذهب إليه أفلاطون لكن دورها هام أثناء حياة الجسد لأنها هي التي تشكل مادة الجسد وهي التي ترتفع بنشاطاتها حتى بلغ به درجة الإحساس ثم التفكير العقلي هذا عن دور النفس الفردية في الجسد لكن إلى جانب النفوس الفردية هل قال أرسطو بنفس العالم كما فعل أفلاطون؟

انه لم يكن بحاجة إلى هذا القول مادام كل ما في الكون يتجه عنده في رحلة شوق وعشق إلى الله وهذا الاتجاه هو الذي يوجد بين جميع أجزاء العالم ويصبغ على الكون كل وحدته.

فأرسطو بدا بإنكار تلك نظرية أفلاطون القائلة بتذكر وقدم لنا بدلا منها نظريته في العقل الفعال وخلاصتها أن العقل الإنسانية والنفس العاقلة عاجزة بذاتها عن إدراك المعقولات الخالصة وكل ما تستطيع ان تدركه ليس إلا معقولات مختلطة بكثير من الخيالات والأوهام والإحساسات وهي حاجة إلى جهد كبير حتى "تستطيع ان تخلص نفسها من تلك الخيالات والأوهام وتصل إلى إدراك المعقولات الخاصة لكن لا بد لها من مساعدة عقل الإلهي خاص يطلق عليه أرسطو العقل الفعال وهذا العقل لا يدخل في تركيب الإنسان وليس جزء

[1] فوكو ميشال، الفرد والمجتمع ، المرجع السابق، ص 38.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

من الجسم الإنساني ولا من النفس الإنسانية بل هو سابق في وجوده عن الاثنين هو وحده الذي يستطيع ان ينقل العقل الإنساني إلى إدراكك المعقولات"[1].

"ولا شك أن نظرية العقل الفعال عند أرسطو ليست سوى نظرية جديدة لإحياء نظرية المثل الأفلاطونية في تصور العلاقة بين الإنسان والعالم وبالرغم من أن أرسطو هاجم تلك النظرية ونكرها وذلك لان هذا العقل هو واهب الصور العقلية فينا لكن أرسطو لم يقل لنا ان هذا العقل فعال كما يريد واكتفى بوصفه بأنه المحرك الذي لا يترك"[2] .

أما فيما يخص أراء أرسطو في النفس فتتمثل في الأتي (أما كمال أول في لجسم طبيعي إلى) أو (ما به نحي ونحس وننتقل في المكان ونعقل) والتعريف الأول بين أن النفس صورة الجسم الجوهرية والقول جسم طبيعي، يعني ان الجسم مؤلف من اللات أي من أعضاء ذات وظائف متباينة.

"لكن الجسم الطبيعي آلي والنفس صنفان لا يفترقان إذا مرض احد جهزت هذه الآلة تدعى سائر الجسم بالسهر والحمى فالغضب الحزن شعور عام جاء من جسد والروح عام كلي لا من جزء واحد إذا هناك جزء مركب من أعضاء أعطت هذه التركيبة خصائص وصفات لا يحتويها كل جزء على حدى"[3].

ب- الانسان الفلسفة اليهودية (هاربرت ماركيوز):

أما بالنسبة للفلسفة اليهودية نجد المفكر اليهودي هاربرت ماركيوز يسلط الضوء عل الإنسان المعاصر .واحتمالات المستقبل في جل مؤلفاته فهو يتحدث عن الإنسان ذو البعد الواحد، والإنسان ذو البعدين ففي الأول: أراد ماركيوز أن يقوم بتغير العادات والتقاليد السائدة في الحياة اليومية وإزالة الشكل الخارجي للوجود القائم كما أراد أن يلعب دور الفيلسوف الواقعي الذي لا يقوم بهذه المهمة انطلاقا من نزعة ذاتية أو تعسفية بل يقوم بها فقد ليساعد الإنسان على أن يشكل وجوده ضمن إمكانيات الواقع، ليتناسب مع قدراته العقلية، وقد اتخذ من النقد السلبي وسيلة لتحقيق هذا الهدف، حيث سيطر هذا النقد على معظم أفكاره وأرائه وشغل العدد الأكبر من صفحات كتبه، وهكذا انتقد ماركيوز كل الأنظمة الاجتماعية المعاصرة، سواء كانت رأس مالية أو اشتراكية كما هي قائمة ورأى أن (أحادية البعد) هي مرض العصر أو هي المظهر الرئيسي لضحالة الإنسان المعاصر وغفلته والانحراف والتشويه الذي طرا على حياته.

[1] هويدي يحى، قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

[3] عبد الفتاح قعدان زيدان، العقل البشري، محاولة لفهم عصره، المرجع السابق، ص 36.

"فالإنسان المعاصر عند ماركيوز (ذو بعد واحد) سواء أكان يعيش في مجتمع الرأس مالي المتقدم أما في النظم الاشتراكية الكبرى في العالم المعاصر"[1].

فالإنسان المعاصر في المجتمع الرأس مالي يتخذ، ماركيوز من وضعه نموذجا لوضعه في كل المجتمعات الصناعية المتقدمة، الرأس مالية منها والاشتراكية، فلا يجحد ماركيوز فرقا جوهريا بين حالة الإنسان المعاصر في مجتمع رأس مالي متقدم وحالته في مجتمع رأس مالي متقدم أخر، "كما لا يجد فرقا أساسيا بين وضع الإنسان في مجتمع رأس مالي متقدم ووضعه في مجتمع الاشتراكي متقدم، فجميع أوضاع الإنسان المعاصر في كل هذه المجتمعات سيئة للغاية فهو إنسان ذو بعد واحد في جميع هذه الأحوال وهكذا كان وضع الإنسان المعاصر عند ماركيوز في مجتمع الرأس مالي الأمريكي المتقدم"[2].

أما الإنسان المعاصر في المجتمع الاشتراكي فهو لا يرى فرق جوهري بينه وبين المجتمعات الرأس مالية فكل من هذه المجتمعات عنده المجتمع صناعي متقدم فيه ذو بعد واحد وهذا واضح في كتاباته الماركسية وصفياتية والإنسان ذو البعد الواحد.

أما بالنسبة للإنسان المعاصر في الدول النامية قرر ماركيوز انه عبارة عن إنسان ما قبل الإنسان ذو البعد الواحد وهو يسير قدما نحو أن يكون إنسانا ذا بعد واحد وهنا نلمس أن أراء ماركيوز هو وضع الإنسان المعاصر هي أراء متشائمة.

ج- الانسان في الفلسفة الإسلامية:

1- (نظرة الإسلام للإنسان)

"قدم الإسلام مفهوما للطبيعة الإنسانية يختلف اختلافا جوهريا عن كل المفاهيم السابقة بكل ما انطوت عليه من تطرف ومغالطات وتصور وخطا"[3].

فالطبيعة الإنسانية في الإسلام وحدة متكاملة قائمة على تداخل وامتزاج وتشابك دقيق الحبكة شديد التعقيد بين المادة والروح، وليس في الإسلام انقسام بين الروح والجسد أو انشقاق بين والعقل والمادة وليس الإنسان جسما فقط كما رأى أصحاب الاتجاه المادي وليست الحياة الشعورية حركات بدنية وتغيرات فيزيولوجية

[1] احمد قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هاربت ماركيوز، المؤسسة العربية للنشر 133برج الكارلتون، بيروت، ط(1)، 1997م، 1400هـ، ص 109-122

[2] المرجع نفسه، ص 132.

[3] احمد علي القيس، أصول التربية، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط(1)، 2010، ص 102-103.

في المخ، "وإنما الإنسان جسم وروح والروح ليست من طبيعة مادية كما أنها ليست مجرد أداء الجسم لوظائفه وليست هذه الروح موضوع ملاحظة حسية أو تحقيق تجريبي، وكذلك الحال بالنسبة للحياة العقلية".

كما لم يذهب الإسلام إلى ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن النفس لا الجسم هي الإنسان على حقيقة وأما الجسم فآلة تستخدمه النفس ولا اعتبار له أو لوجود حقيقي وإنما هو نتاج العقل بل الطبيعة الإنسانية تتكون من بدن وروح، بدن له حاجاته التي يجب إشباعها من اجل حفظ الذات وبقاء النوع وروح هو "عنصر علوي يتضمن استعادة الإنسان لتحقيق معالي الأمور وأقدس الصفات فهو الذي يؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان ويقرر له أهدافه وغاياته العليا في الحياة ويرسم له خطوط منهاجه فتصنيفا إلى بشريته الرجوع إلى مصدره القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة الإنسان"[1].

قال تعالى: ﴿ ↓ ﴾

﴿ ....↓ ﴾

﴿ ↑ .... ﴾.[4]

والطبيعة الإسلامية نتيجة الوراثة والبيئة معا في الإسلام فالوراثة وان كانت تزود الفرد بالإمكانات ولاستعدادات، فان البيئة هي التي تقرر ما إذا كانت هذه الإمكانات ستتحول إلى قدرات فعلية أم لا كما أنها هي التي تحدد مدى استغلال هذه الإمكانات والاستعدادات فان البيئة هي التي تقرر ما إذا كانت هذه الإمكانات ستتحول إلى قدرا فعلية أم لا كما أنها هي التي تحدد مدى استغلال هذه الإمكانات والاستعدادات.

[1] محمد عثماني تيجاني، القران والعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ط(1)، 1986، ص 202.

[2] سورة ص الآية رقم 71 – 72.

[3] عبد المجيد النجار، العقل والسلوك في البيئة الإسلامية، منشورات مطبعة الجنوب، مدين، تونس، د(ط)، 1400هـ، 1970م، ص 11.

[4] سورة التين، الآية 04.

2- القرآن وخلق الإنسان:

يقرر القران أن الإنسان خلق خلقا مستقلا ولم ينحدر هذا الإنسان من أصل حيوان عبر مرحل الانتقالية يتطور فيها الحيوان حتى صار الإنسان.

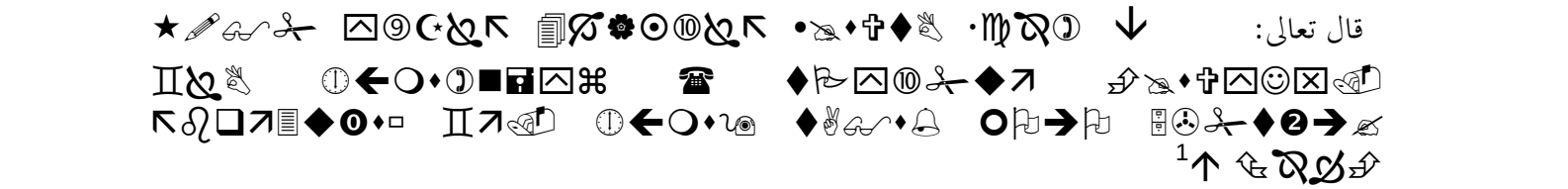
قال تعالى:

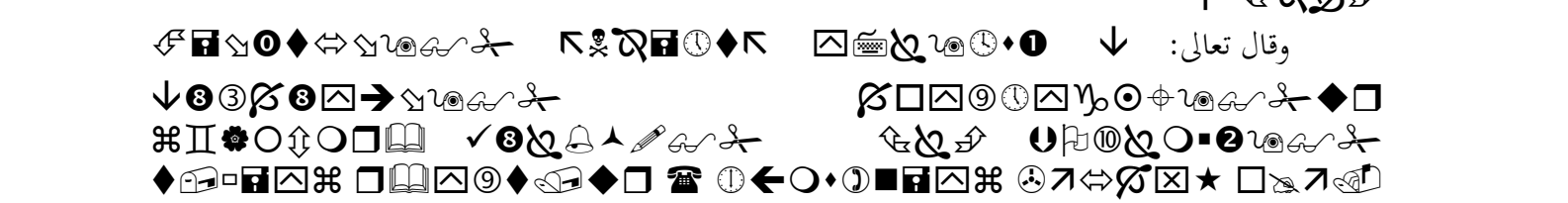
[1]

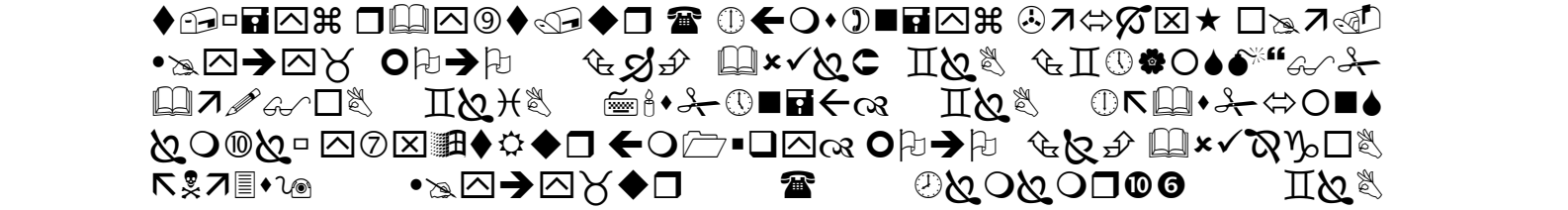
وقال تعالى:

[2]

" وتكررت الإشارة إلى خلق الإنسان من تراب ومن نطفة ثم من علقة في أية كثيرة من القران الكريم ورغم انه ليس من شان البحث أن يعرض الآراء العلمية في تأويل هذه الآيات وتفسيرها في ضوء معطيات العلم لان الإيمان بان " طبيعة النص القران من حيث هو كتاب هدى ودين تقتضي توجيه كل لفظ وأية إلى مناط الهداية والاعتبار، كمثل هذه الغاية يحرص كتاب الإسلام على تذكير الإنسان بهوانه وضعفه فيلفقه إلى خلقه من تراب أو من طين أو من نطفة أو من علقة ثم من مذغة أو من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ولا شيء في هذا احتاج الإنسان فيه إلى دراسة علمية ليدكه"[3].

- ورغم أن أمر النشأة الأولى غيب لم يطلع الله البشر عليه كما اخبرنا القران الكريم في قوله تعالى:

[4]

---

[1] سورة ال عمران الآية رقم 95.

[2] سورة السجدة الآية رقم 06-07-08-09.

[3] عبد الرحمان عائشة، القران وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين، ط(2)، بيروت، 1970، ص 22.

[4] سورة الكهف الآية رقم 51.

إلا الإنسان يستعرض آيات الخلق التي وردت في الكتاب الكريم وهو يتدبر فيها ويحاول أن يعرف منها ملامح الصورة الأولى في قضية النشأة الأولى ويعتبر بها.

"يحتوى القران الكريم مجموعة من الحقائق المتعلقة بخلق ادم وأطوار ذلك الخلق وأوردها الأستاذ عبد الرحم حسن حمبكة الميداني في كتابه (الأخلاق الإسلامية وأسسها) على النحو التالي"[1].

1- يشير القران الكريم إلى مرحلة زمنية لم يكن الإنسان شيء فيها مذكورا فيها قال تعالى: ⇓

[2] ↑

"فقد مر حين من الدهر السحيق في أخبار الزمن الماضي لم يكن للإنسان فيه وجود وقد جاء البيان على طريقة التساؤل لا نتراع الجواب من مصنفي أهل العلم وأهل النظر، والجواب الحتمي لقد اتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيء مذكرا اذ لو كان له وجود لعرف هذا الوجود"[3].

ويلفت القران الكريم النظر إلى ان الماء هو العنصر الأول من العناصر المادية التي تكون منها خلق جسد الإنسان كما هو العنصر الأول الذي خلق منه كل كائن حادث ودل على هذه الحقيقة نصوص متعددة من القران الكريم.

قال تعالى: ⇓ ..... ⇓

[4] ↑

وقال تعالى: ⇓

[5] ↑

[1] عبد الرحمن حسن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها،ج(1)، دار القلم بيروت، ط(1)1299 ،هـ، 1979، ص 02.

[2] سورة الإنسان الآية رقم 01.

[3] عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، نفس المرجع، ص 50.

[4] سورة الأنبياء الآية رقم 30.

[5] سورة النور الآية رقم 45.

وقال تعالى: ↓ ◆❑➔♎◆❒ ❽🙰🕭➢🖉🏵✂ ◆🖃■🖬🖂❁ ⌘🙰🖗

🕀↖🕮♦✂🖂➔🖂↗♦▫ ✂☪❸❁⌑☐🗀 🙰↗🖉🏵🖂☺↘🕸🏵✂

🖂📻❿🖃◆❻ ♦🙰🕭☒🖃◆❒ 🖹 ✂❀❷⇳♑🙰🕒◆❒ 🏵✡📻❁○■♦

🕭♦⑨❽③🙰⑨♦🕭 ↑ ⇦🖗🖋✂❀❷③🙰⑨♦🕭 [1]

2- كما يلفت القران الانتباه إلى ان التراب هو العنصر الثاني في العناصر التي كون منها خلق جسم الإنسان

فالإنسان الأول كان تراب عنصرا من عناصر تكوين خلقه.

قال تعالى: ↓ ⑨☪🙰↖ 🗐🌣❁⊙⑩🙰↖ •✍♦✞◆🖗 ·♍🖗❽ ★🖉🏵✂ 🖂

🖗🙰🖗 ⓿🡐❍♦❽■🖬🖂⌘ ☎ ♦🏳🖂⑩✂◆↗ 🖈✍♦✞🖂☺☒🖃

↖🕭❑↗🖹◆❶♦▫ 🖗↗🖃 ⓿🡐❍♦🕸 ♦✌🏵♦🕭 ❍🏳➔🏳 🖻☮✂♦❷➔✍

[2]↑ ⇦🖗🖋🖈

فالتراب عنصرا من عناصر التكوين كل إنسان بعد ادم اذ من التراب النباتات، الغذاء ومن الغذاء الدم ومن

الدم النطفة ومن النطفة الجنين.

ويقول تعالى: ↓ ◆❑➔♎ ❽🙰🕭➢🖉🏵✂ ◆❑➔♎ ✠♦❁ 🖗🙰✌ ☠➔⌛♦❽■🖬♦❁

⇳🖗🙰🖉 ▪☠➔🏳 🖻☮✂♦❷➔✍ 🖗🙰🖉 ▪☠➔🏳 📻❑☒🖪↖➲🕸☼ 🖗🙰🖉 ▪☠➔🏳

▪☠➔🏳 📻❑♦❽■🖬♦↘ ⌖☒↘🖪🙰☪ ⑥↗③↘🇬🇧❷↘⑨↗⑥ ▪☠➔🏳 ⬀☠↗🖹↖♉❷↘③↗⑥

❍🏳➔🏳 ⬀☠➔🖹❶⑨↗➢❒🕮 ☎✂☑❑↗⇔➔🖬⬀📻♦☞🙰🕸 ☎✂☑❑↗⇔➔🖬⬀📻♦☞🙰🕸◆❒

🖗🙰✌ ☠↗🖹☪🙰✌◆❒ 🗐 🕭✡❁❑↖⑩↗➢ ☎✂❑🡐☼❑↗🖹♦☞🙰🕸

☎✂☑❑↗⇔➔🖬⬀📻♦☞🙰🕸◆❒ ☎ ↖✍⬀⌛♦🕭 🖗🙰✌ 🗐❼❋×◆❑♦☝↖③

🕸♍❑➔🖬🖋❽⬃➔♦✍ ⬀☠➔⌛❋🖬🖂➔♦🕸◆❒ ❻♦😑❁❍⑩✌ ⌖☒🖂♉❒🕮

[3]↑ ⇦🙰🖉🖈

⬃🕭❒🕮 🖪🕒🙰❍🙰☝🕒♦③✂◆↗ ⇳🖗🙰✌◆❒ ↓ ◆❑➔♎ ⬃🕭❒🕮

🏳🡐☞☼❒🕮 🖉✂♦❶♑❽ ❍🏳➔🏳 🖻☮✂♦❷➔✍ 🖗🙰🖋☠↗🖹♦❽■🖬♦❁

🗀❑⌖♦❷◆☒ ❍➔❒❸🡐⇦⌑♦☞☪♦✍ 🕸♍❒🡐❸🡐⇦⌑♦☞☪♦✍ ↑ ⇦🕊🖈🖈

3- كما يلفت القران الانتباه إلا ان خلق الإنسان من طين والطين هو امتزاج بين الماء والتراب.

قال تعالى: ↓ ❶♦🕒🕸🙰📻🖂 ↖☠♑🖬🕒◆↖ 🖈🖬↘❍◆⇔↘🕸🏵✂

↓❽③🖉❽🖂➔↘🕸🏵✂ 🖉❑🖂⑨🕒🖂♍⊙⌖🕸🏵✂◆❒

⌘🖗❁○⇳❍❒🕮 ✓❽🙰🕭➢🖉🏵✂ ⇦🙰🖈 ❿🏳⑩🙰❍▪❷🕸🏵✂

[1] سورة الفرقان الآية رقم 54.

[2] سورة آل عمران الآية رقم 59.

[3] سورة غافر الآية رقم 67.

[4] سورة الروم الآية رقم 20.

[illegible] [1]

وقد وصف الله الطين في بدا خلق الإنسان الأول: لأنه طين لازب أي لاصق بعضه ببعض متماسك لزج

لقوله تعالى: [illegible]

[illegible] [2]

ومرحلة الطين الازب هي مرحلة الحمأ المسنون، والحمأ هو الطين الذي تغير واسود لطول مجاورة الماء المسنون هو

المصدر قال تعالى: [illegible]

[illegible] [3]

4- "بعد ذلك تأتي مرحلة جفاف الطين حتى يصير صلصالا" [4] وصلصال هو الطين اليابس غير المطبوخ يصلصل أن يكون عن نفره، هذا الصلصال يشبه الفخار إلا انه ليس فخارا لان الفخار مطبوخ في النار.

قال تعالى: [illegible] [5]

5- "ثم تأتي مرحلة نفخ الروح بعد أن سارة الطينة ذات صورة بشرية كاملة" [6]، وهنا اكتمال صورة الإنسان بكل معاينة إذ أن الله سواه في أحسن تقويم، ومن هنا تبقى الروح التي نفخها فيه الله سبحانه وتعالى وهذا بقوله جلا

وعلى: [illegible]

---

[1] سورة السجدة الآية رقم 06 إلى 09.

[2] سورة الصافات الآية رقم 11.

[3] سورة الحجر الآية رقم 26.

[4] عبد الرحمن حسن الميراني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص 03.

[5] سورة الرحمن الآية رقم 14.

[6] عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص 03

[1]

وبهذا يكون الإنسان إنسانا والله أعلى من قيمته وشانه إذ قال للملائكة اسجدوا له.

6- فقد إذا تم خلق الإنسان الأول ادم عليه السلام يشير القران الكريم إلا ان الله سبحانه وتعلى خلق من زوجه حواء، لقول تعالى:

[2]

وقال تعالى:

[3]

وقال أيضا:

[4].

وهذا إن دل على شيء فانه يدل على أن الله خلق زوج ادم منه وجعل لها ملاذا له ليسكن إليها وليستمر النسل وان خلقها من ضلع اعوج أملا فهذا ليس له إشارة في الكتاب الكريم وهنا يقع اللبس.

– لقد ضاع في البيئة الإسلامية أن حواء خلقة من ضلع ادم وترد حكاية الضلع هذه في حديث نبوي شريف رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : "استوصوا بالنساء فان المرأة خلقة من ضلع اعوج وان اعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوجا استوصوا بالنساء خيرا"[5]

[1] سورة صاد الآيتان، 71-72.

[2] سورة الأعراف الآية رقم 189.

[3] سورة الزمر الآية رقم 06.

[4] سورة النساء الآية رقم 01

[5] الإمام مسلم ابن الحجاج ابن مسلم القشيري النيصبوري، ج (1) مطبوعة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، د(ط)، د(س)، ، ص 125.

– "وقد فهم البعض هذا الحديث فهما حرفيا مع أن الضلع فيه من التعبير المجازي الذي نعرفه في أسلوب البيان العربي، وإذا صح الحديث فليس القصد منه تحديد أصل الخلق وإنما هي وصية من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بترفق بالمرأة والتحذير من أخذها بشدة، مثل الحديث الأخر: "**رفقا بالقوارير**" فل خلقة النساء من قوارير؟"[1].

7– ثم يلفت القران الكريم الانتباه إلى خلق السلالات البشرية بعد خلق الإنسان الأول وزوجه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2]

وإذا كانت كيفية خلق الإنسان الأول غيب لم يطلع الله الإنسان عليها فان الحقائق التي تتعلق بخلق السلالات الإنسانية بعد خلق ادم وزوجه بدا من مرحلة النطفة مرورا بمرحلة العلقة فالمضغة فخلق العظام وما يتبع ذلك من بناء اللحم على العظام، هذه الحقائق تخضع بإمكان البعث الإنساني، وقد أصبحت الآن معرفة بل أن البحث العلم اثبت في جلاء هذه الحقائق.

أما خلق الإنسان الأول فلا يخضع للمشاهدة الإنسانية، ولا يقع تحت طائفة التجربة وإنما جاءنا خبر القران به لتنتفي بعد ذلك كل النظريات والتكهنات عن خلقه بمصادفة أو تطوره عن الحيوان، لان الله سبحانه وتعالى أراد أن لا يضل الإنسان أسير الجهل ومعرفة أصل النشأة الأولى.

لقد اثبت القران الكريم ان الله خلق ادم فلا مجال إذا إلى التطور أو النشوء عن الذرة الاصلية للحياة وشاء الله أن تكون الأرض مستقرا له إلى وقت معلوم.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ... وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]

وجعله صاحب طبيعته مؤهلة للقيام بهته الرسالة.

---

[1] عبد الرحمن عائشة، القران وقضايا الإنسان (المرجع السابق)، ص 43.

[2] سورة المؤمنون الآيات رقم 12 إلى 14.

[3] سورة البقرة الآية رقم 36.

لان الإنسان لما فيه من قدرات واستعدادات مؤهلات يكون محور الحياة في هذا الكون وان الكون موضوع لهذه الخلافة.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] وتبعا لهذه الصفة (الخلافة الناقدة) لأمر الله وبمشيئته "اختص الإنسان بواجبين وتحمل مسؤولية مزدوجة الأولى مسؤولياته وواجباته حيال ربه وأخرى واجباته ومسؤولياته الناشئة عن علاقته بالعالم.

"وحق عليه أن يحمل أعباء هذه المسؤوليات والواجبات المزدوجة مع الاحتفاظ في الوقت ذاته بالموازنة الصحيحة بين علاقته بالله وعلاقته بالعالم"[2] .

د- الانسان في الفلسفة المسحية:

" فلسفة العصور الوسطى تبدأ على حب التدقيق في القرن التاسع وتنتهي قريبا في القرن الرابع عشر، أما الفترة التي جاءت منذ بدء المسيحية حتى القرن الاتساع فتسمى بفترة الآباء لان التفكير في هذه الفترة كان

مقتصرا على أباء الكنيسة الذين حاولوا لن يدافعوا عن المسيحية ضد الغزوات العنيفة التي شنها الفلاسفة اليونانيون المعاصرون"[3]، ومن خلال دراستنا لفلسفة العصور الوسطى سنكتفي بدراسة شخصية كبيرة لها اثر كبير في فلسفة المسيحية إلا وهي القديس "اغسطين"، الذي بدوره كانت له ثقافات متباينة متغايرة أولها الثقافة المسيحية وبحكم بحثنا فإننا بصدد التركيز على الإنسان، "فاغسطين في الثقافة المسيحية ظهرت له تصاعدا للإنسان الروحي من حيث أن المسيحية تصنع فيها متصاعدة للحياة الإنسانية وتنتهي بالقيمة العليا في ملكوت الله"[4].

[1] سورة البقرة الآية رقم 30.

[2] مولانا أزاد سبحاني الرباني، تعاليم الإسلام في ضوء الفلسفة الربانية، الرسالة الأولى والله العالمين شرح وترجمة محمد معاذ، دار الفكر العربي، د(ط)، د (س)، ص 04.

[3] بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، وكالت المطبوعاة، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ط(3)، 1979، ص.32

[4] المرجع نفسه، ص33.

ركز كذلك اغسطين على المعرفة الإنسانية وقد أكد انه لا يوجد شيء معين يمكننا إدراكه في الحال بدون ان نشك فيه ونعيد النظر فيه وهذا فتحت معرضون للأخطاء والخداع في أفكارنا [1]، إذا من الواضح أن أفكاره وثيقة الصلة بديكارت فاغسطين مقتنع بان ما يسميه "العالم" إنما هو مكشوف في الوعي أما النوع الثاني من المعرفة فقد تحدث عنه في كتابه التثليث تكلم فيه عن المعرفة الذاتية العقلية كذلك فان كتاب الاعترافات يعد تمرينا على تحقيق المعرفة الذاتية والتي وصفها اغسطين في كتابه أنها اكتشاف العقل لذات.

"وسنفهم أكثر المعرفة الذاتية عند اغسطين عندما نعرض لوجهة نظره ما نسميه الذاكرة وهكذا يعرف بين نوعي المعرفة الإنسانية فالأولى تعتمد على الحواس والثانية على العقل وحده "[2].

"يعتقد أوغسطين أن كل المعرفة عمل لروح كما نه تأثير بنظرة أفلاطون الثنائية للإنسان وقد أكد على الوحدة الجوهرية للإنسان من حيث انه مركب من روح وجسد وعليه يعرف الإنسان بأنه " أن الإنسان كما نراه عبارة عن روح عاقلة تستخدم جسدا ثانيا ماديا" وعلى هذا يعتقد أوغسطين أن الجسد جوهر ادني مرتبة من جوهر الروح"[3]. ح

الإنسان في الفلسفة الحديثة

1- الانسان عنديكارت:

تناول ديكارت الإنسان بدراسة لأنه الملتقى الذي التقت فيه الشخصي بين الجسم والعقل أو المتداد والفكر ولكنه لقي في الدراسة مشفة ومنفصلان وهما ضدان لا يجتمعان كالنار والثلج ولكنه لا يستطيع أن ينكر ما نشاهده ارتباط العقل الإنسان وجسمه ارتباط يجعل منهما وحدة متماسكة يقول ديكارت أن العلاقة التي تراها بين الإنسان بين العقل والجسم لا يمكن أن تعلل شيء من طبيعتها لأنها ضدان. فلم يبقى إلا أن يكون اتحادهما هذا حقيقة خارقة أرادها الله على الرغم من أنها لا تتفق مع طبائع الأشياء وتتم العلاقة بين العقل والجسم بواسطة جزء معين هو الغدة الصنويرية وهذه الغدة هي الوسيط بين الروح والسم، "كما نه يقول أن الروح عاجزة عن خلق حركة جديدة في الجسم غير التي به فان الجسم كذلك عاجز عن خلق أفكار جديدة في الروح (أي العقل) غير التي فيها" [4].

[1] عبد القادر محمد ماهر، ووعطيتو حربي عباس، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، د(ط)، د(س)، ص352.

[2] المرجع نفسه، ص353.

[3] المرجع نفسه، ص356.

[4] محمود زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة محمد مجد للتأليف والنشر، 1255ه، 1981م، القاهرة، د(ط)، ص 136.

"ويرى ديكارت انه يمكن للعقل أن يسيطر على العواطف ويقول انه حتى اضعف العقول يستطيع بالصبر أن يوفق إلى السيطرة على العواطف، وتتلخص الأخلاق عند ديكارت في السيطرة على العواطف وفيما ينتج عن ذلك من رغبته في ما نعلم انه حق وخير وهذه الرغبة في أن تحيا حيات فاضلة، ينشا عنها اطمئنان للضمير" [1].

"أما فيما يخص موضوع الإنسان والصلة بين النفس والجسد سعد موضوعا للإنسان والصلة بين النفس والجسد كذلك من أوائل الموضوعات التي تلقتها فلسفة ديكارت فهو يذهب إلى أن معرفتنا بأجسادنا أكثر وضوحا ويقينا في أنفسنا تقوم على شعورنا الداخلي الذي يقل مرتبة عن المعاني التي تعرف نفوسنا إلا عن طريقها كما انه لا يمكن التوصل إلى معرفة إلا بضرب من المثالية ANALOGIE وهذا فان ديكارت حلة مشكلته في الصلة بين النفس والجسد عن طريق حيل مصطنعة"[2].

2- الإنسان عند هوبس:

أن هوبس لا يعدل عن المادية فما أن يتخذ الإحساس مبدأ حتى يحاول أن يرجع إليه أفعالنا العقلية يقول أن كل علم فهو آتي من الإحساس ويعرف الإحساس بأنه حركة في ذراة الجسم الحاس صادرة عن حركة في الجسم المحسوس ننتقل الحركة الخارجية إلى الدماغ ومنه إلى القلب بواسطة أعضاء الحواس والأعصاب فتصادفت مقاومة وصدى لان الاعضاء الباطنة هي أيضا في حركة متصلة هذا الصدى بمثابة الميل إلى الخارج يجعلنا نقذف بموضوع الإحساس إلى الخارج فهوبس يتابع العلم القديم في اعتبار القلب مركز الإحساس والوجدان والروح كحركة، فاللذة مثلا ماهي إلا حركة في القلب ولكن ما تعليل الظاهرة الشعورية الناشاة مع الحركة الجسمية؟

أنها لا معجزة بالقياس إليها وان المذهب المادي لا عاجز عن تحليلها وهوبس يذهب إلى أن الأجسام خاصيتين ليس غير، هما الامتداد والحركة وان سائر الكيفيات المحسوسة ذاتية حتى الزمان والمكان فانهما صورتان

من نوع الصور التي يحدثها والحركة وباستطاعتنا الاحتفاظ بهما مع افتراض زوال الأجسام جميعا وذاتية الكيفيات المحسوسة قضية لازمة من قوله إنما يحدث في العالم هو حركة فحسب فكل ما يبدو في الشعور مغايرا للحركة يكون ذاتيا "ويؤيد هوبس هذه القضية بما هو معروف من خداع الحواس والأحلام واختلاف الإحساس باللون باختلاف الأشخاص والإحساس بالضوء عند ضرب العين أو إثارة الغضب البصري، فكيف نفسر هذه الذاتية إذ لم تكن النفس جوهرا مغايرا للجسم ولم يكن فعلها مغايرا للحركة الجسمية؟ وحركات الدماغ مرتبطة بعضها ببعض بحيث إذا

[1] المرجع السابق، ص 137.

[2] محمد علي أبو زيان، تاريخ أفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة)، دار الكتب الجامعية، ط(1)، 1979، ص 91.

تكررت حركة لحقتها أخرى لذا تعاقب الصور بنفس ترتيب الإحساسات لتعاقب حركات الدماغ بهذا الترتيب يبدو أن هوبس يلاحظ أن مجرى الأفكار تابع ليس فقط لقانون اقتران الإحساسات في المكان والزمان بل أيضا لقانون الاهتمام الميل والعاطفة وهذا السبب في أن ترتيب الصور يتعدل في الأحلام وفي خواطر اليقظة وفي أفعال المروية فان إدارة الغاية تولد فكرة الوسيلة الكفيلة بتحقيقها أي التي رأينها في الماضي تحقق معلولا شبيها بالذي ننشده" [1] .

العلاقات التي تسيطر على الترابط منها هي علاقات التشابه والعلة والمعلول والمبدأ والنتيجة والغاية والوسيلة والدال والمدلول فلا يستطيع هوبس أن يفسر الحياة الفكرية تفسيرا أليا.

– على أننا "نجد عنده تفسيرا أليا للإرادة ذلك انه يقول أن الحركة الدماغية التي هي التصور إذا ما بلغت إلى القلب نشطة الحركة الحيوية أو أعاقتها ففي حال التنشيط تكون اللذة وتسمى خيرا وتكون محبة الشيء، وفي حال الخوف يكون الألم ويسمى شرا وتكون كراهية الشيء المؤلم وحركة اللذة تدفع إلى اشتهاء الشيء وحركة الألم تدفع إلى خوفه، فالاشتهاء والخوف هما الباعثان على جميع أفعالنا وما الرؤيا أو المشورة إلا تردد هاذين الباعثين إلا أن يحدث الفعل أو تمتنع منه فالاشتهاء الأخير والخوف الأخير يسميان إرادة والأوامر والنواهي إنما تؤثر بالتغريب والرهيب ومتى كان الإحساس المصدر الوحيد للمعرفة كانت معرفتنا قاصرة على ما تناوله بالفعل الماديات المحدودة فامتنع علينا العلم بالعالم في جملته ومقداره ومدته واصله وامتنع علينا باب اللامتناهية وهوبس ينكر إمكان التدليل "[2].

"مع وجود الله بالوقوف عند حد في سلسلة العالم ويزعم ان كل علة فهي تحركه بالضرورة لان شيء لا يتحرك بفعل شيء لا يكون هو نفسه متحركا وهكذا تتداعي إلى غير نهاية وهو لا يرى انه بهذا القول يسقط مبدا العلية الذي ينشد اليه إذ انه يجعل من جميع العلل معلولات فلا يصل إلى علة بمعنى كلمة ويخلط بين سلسلة العلل المتعاقبة بالعرض وفيها يمكن التداعي إلى غير نهاية وبين سلسلة العلل المترتبة بالذات وفيها يجب الوقوف عند حد وهو يقول ضد ديكارت ان الامتناهي لا يدل على موجد حقيقي أو خاصية محصلة لموجود ما بل على قصور عقولنا وانحصار طبيعتنا فيخلط بين الوجود في نفسه وبين طريقته طريقة تخيلنا اياه، على انه يطرح في مؤلفاته السياسية بننا إذا ارتقينا

[1] كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، د(ط)، د(س)، ص 55.

[2] المرجع نفسه ، ص 56-57.

في سلسلة العلل انتهينا إلى علة سرمدية لا علة لها وذلك لأنه يعترف بالدين لأسباب عملية لا نظرية كما سنرى ويقول انه لا يجوز ان نطلق على الله الالفاظ المقولة علينا وعلى الموجودات المتشابهة كالألم والعقل والإرادة وان الألفاظ المعدولة وأسماء التفضل وقبوله وحدها في حق الله لأنها تدل على إعجابنا وخضوعنا لا على ماهية الله بل أن اللفظ الجسمي إذ انطلقه على الله ما هو إلا صفة تشريفية لا غير لان كل موجود فهو جسمي"[1].

[1] كرم يوسف،تاريخ الفلسة الحديثة المرجع السابق ص 58

الفصل الثاني
الإنسان عند مالك بن نبي

إن مشكلة الحضارة تتجلى في ثلاث مشكلات أولية، مشكلة الإنسان والتراب والوقت، فلكي تقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بان نكدس المنتجات وإنما بان نحل هذه المشكلات من أساسها.

أما العنصر الأول فهو العنصر الاهم حيث يحتل مكانا رفيعا.

الإنسان: أن كل تفكير في مشكلة من تفكير في مشكلة الحضارة ولان المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة بل مشاكله متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ فلا يمكن أن تقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوروبا المستعر ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار لان كليهما في طور تاريخي خاص به

فالأمر في الحالة الأولى يتعلق بحاجات غير مشبعة وديناميكية مضطربة على حين يتعلق بالأخرى بعادات راكدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وخمول تام في الوقت الذي وضعت فيه الحضارة خطوط العماليق

وعليه فالأمر متصل بمشكلتين مختلفتين في أساسهما فهنالك هم في حالة إلى مؤسسات، بينما نحتاج هنا إلى رجال فمن الرجل نتبع المشكلة الإسلامية بأكملها وإذا عالجنا مشكلة الإنسان انطلق نحو تسخير التراب واستثمار الوقت باتجاه بوصلة الحضارة.

"ومشكلة الإنسان في أساها لا تعالج إلا بتوجيه ثقافته وتصنيف العادات والتقاليد الميتة في نفسيته وتنمية روح الفعالية".[1]

[1] بريون فوزية، مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، دمشق، ط (1)،1431هـ،2010م،ص .210.209

المبحث الأول: الإنسان بكل أبعاده

أ – البعد الاجتماعي:

نأخذ عالم التراب الذي هو احد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة فإذا ما توفر(المركب الديني) لتركيب هذه العناصر، فإننا نرى التراب في البلاد الإسلام جديرا ببحثه كعامل من عوامل الحضارة وحينما تتكلم عن التراب، لا نبحث في خصائص والطبيعة وليس هذا البحث من موضوع الكتاب ولكننا نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمن مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب عالي القيمة، وحيث يكون الأمن مختلفة يكون التراب على قدها من الانحطاط. والمقصود من التراب الإمكانيات والطاقات والثروات المعدنية والزراعية وغيرها التي تتوفر في مجتمع من المجتمعات.

ب – البعد الأخلاقي:

" لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية ولكن من الناحية الاجتماعية وليس المقصود هنا تشريع مبادئ الفلسفة بل نحدد قوة التماسك اللازمة للأفراد في المجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في الجماعة عند الفرد" والتي تتيح له تكوين وحدة تاريخية هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة عند الجماعة عند الفرد والتي تتيح له تكوين القبيلة والعقيدة والمدنية والأمن، وتستخدم القبائل في البداوة هذه الغريزة لكي تجتمع والمجتمع الذي يجتمع لتكوين حضارته فانه يستخدم الغريزة نفسها، ولكن يهذبها ويوظفها بروحية خلقية سامية هذه الروح الخلقية متدفقة من السماء إلى الأرض تأثيرها مع نزول الأديان عندما تولد أحضارة ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم البعض كما يشير إلى ذلك القران الكريم" [1] في قوله تعالى: ↓

↑ [2]

[1] بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، (تر)عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط (2)، 1984، ص76

[2] سورة الأنفال الآية 63

" أن قوة التمسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام لكن أي إسلام ؟ االإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعثة في صورة الإسلام الاجتماعي"[1]

لا تنفصل كينونة الإنسان الفرد عن الفكرة الدينية، كما لا يتفق التماسك والتضامن الاجتماعي بغير المنظومة الأخلاقية، ولهذا تجاوز اهتمام ابن نبي الأخلاق كمشكلة فلسفية، بل سعى لمقاربتها من الناحية الاجتماعية أي باعتبارها قوة التماسك الأزمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية مرتبطة في أصلها بغريزية "الحياة في الجماعة" عند الفرد هذه الغريزة التي لا بد لها أن يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية ممنوحة من السماء إلى الأرض، مهمتها ربط الأفراد بعضهم بعض"[2].

"ولذلك يقر الأستاذ مالك بان المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا بما يحمله من منظومة أخلاقية فجميع القوانين التي أملتها السماء أو وضعتها محاولات البشر في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية، وبدونها لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا"[3].

"وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يضع تاريخه"[4].

" إذا مفهوم الأخلاق عند مالك ابن نبي ينطلق من مرجعية دينية غير ذهنية بحيث أنها اعم من الخصوصيات الدينية لتشمل المعاني الإنسانية الشاملة التي تلخص ما ذكرناه حول المنهجية الإسلامية الحق الخير والإعمار) فهي معاني محددة يتداخل فيها كل ما يحقق مصلحة الإنسان وانسجامه مع ذاته ومع الإنسانية يجعل علاقتها بالكون علاقة تسخير وتعمير لا علاقة فساد وتدمير" [5]، من هنا ندرك كل الإدراك أن أي انفصال للخلاق عن الضمير أو العلم يفقد الانسجام الإنساني، وفي هذا الصدد يستعرض مالك ابن نبي نتائج هذا الفصل ومن جوانب متعددة

[1] بن نبي مالك، شروط النهضة، تر، عبد الصبور شاهين، كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، دط، 2000، ص 90

[2] بوعلام ولهي، مشكلة الإنسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري، المصدر السابق، ص 29.

[3] ابن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 94.

[4] المرجع نفسه، ص 43.

[5] المصدر السابق، ص94

ج- البعد الجمالي:

والى جانب المبدأ الأخلاقي الذي اعتبر ه ابن مالك أساس المجتمع الإنساني يشير مالك ابن نبي إلى مبدأ أخر لا تقوم إنسانية المجتمع في غيابه وهو المبدأ الجمالي ولكن يوضح الأستاذ أهمية هذا المبدأ فانه يبين أثره من الناحية النفسية والاجتماعية في حياة الأفراد، فعندما يشاهد المرء صورة جميلة فإنها سوف تثير فيه أشياء جميلة أو العكس صحيح، والقانون نفسه ينطبق على المجتمع فكلما كان هناك اهتمام بالطابع الجمالي في أشياءه بما يتفق والذوق العام، فان هذا يؤثر في نفسية الفرد، فالذوق الجميل الذي يتطبع به فكر الفرد يجد الإنسان في نفسه رغبة الى الإحسان في العمل متوفى الكثير من العادات وبذلك يكون للجمال أهمية اجتماعية كبرى إذا ما عدى المنبع الذي تتبع منه الأفكار وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال المجتمع.

"لا يكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل فان لمنضو رها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة فلا بد أن يظهر اثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه.

ولقد بعثت هذه الملاحظة كل من عفوا بالنفس الاجتماعية من علماء الأخلاق أمثال الغزالي لدراسة الجمال وتقديره في الروح الاجتماعية."[1]

وتكمن أن نلخص أفكاره في هذا العدد باعتباره (الإحسان) صورة نفسية للجمال وترجمة هذا الاعتبار في لغة الاجتماع، أن الأفكار بصفتها روح الأعمال التي تعبر عنها وتسير بوحيها، إنما تتولد من صورة محسنة الموجودة في الإطار الاجتماعي والتي تنعكس من يعيش فيه وهنا تصبح الصورة صورة معنوية يصد عنها التفكير.

فالجمال الموجود في الإطار الذي يشمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات يوحي للإنسان بأفكاره، ويعطيها بطبعه الخاص من الذوق الجميل أو السماحة المساحة القبيحة القيمة فالذوق الجميل الذي ينطبع في الفرد، حيث يجد الإنسان في نفسه رغبة إلى الإحسان في العمل.

والإطار الحضاري لكل محتوياته متصل بذوق الجمال بل أن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه آية الحضارة ينبغي أن نلاحظه في نفوسنا.

[1] بوعلام ولهي، مشكلة الانسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري، مالك بن نبي، المرجع السابق، ص30

د- **البعد الاقتصادي:**

" La progiction .economie: في دراسة خلت بدالي إلى ضرورة ان اشير إلى التعارف الشديد في المشهد الإنساني بين محور واشنطن – موسكو ومحور طنجة، جاكرتا، وقد بين ان هذا التعارف راجع في جانب منه إلى بنى اقتصادية مختلفة، ومفسرين هذه البني تفسيرا قائما على جذورها النفسية الثقافية لا على اصولها الاقتصادية، فالمشكلة نفسية بادئ ببدأ ذلك بان الوعي الاقتصادي لم ينم في شعور العالم الاسلامي النمو الذي نماه في الغرب في شعور الإنسان المتحضر وحياته."[1]

"الواقع ان الاقتصاد في الغرب قد اسما منذ قرن دعامة اساسية للحياة الاجتماعية وقاعدة جوهرية لتنظيمها ومبدأ تصرف للفرد ومثلا اعلا للأسرة رمزه (جورب الصوف) المشهور في كل بيت" [2]، رد إلى ذلك "انه منذ عصر ما بعد الموحدين نجد ان الفكر الاسلامي المسترح من مهماته التاريخية من وجه ما فقد وظيفته فقد امسا الة تدور في الفراغ نسمع جعجعتها ولا نرى طنجة، حتى ان اتجاها أو مذهبا اقتصاديا اسلاميا خاصا لم يكن ليقوى البزوغ ذلك بأنه لا يملك ان يتعلق بفكرة (الربح الحر) التي هي دعامة الراس مالية ولا بفكرة (الحاجة) التي هي نواة الماركسية" [3]، ان إنسان العامل الثالث عامة والمسلم خاصة يضنان انهما بريئين من اسقامهما بدواء جديد يشفيهما من كل داء وقد تكلما عن الاقتصاد كلاما مهما عن حجر جديد للفلاسفة يملك ان يجعل الفقر غنى برمشة عين فوقع في ظرف من الصبيانية الاقتصادية economisme[4] غير ان حجز الفلاسفة الذي يزعمان المداوات فيه لا يصنع المعجزات في البلدان الذي يتخذه علاجا بل يدس له من مخابر البلدان المتقدمة التي همها الاكبر ضمان مصالحها لتخفيف عبء البلدان المتخلفة وهذا الدواء الشافي من كل داء في العالم الإسلامي لم يكن له من اثر إلا ان جعله فريسة باقاعه في الاقتصادانية l'economisne "ان الاقتصانية أو المعاشية لم ينزل بها القران من السماء بل افرزتها كائنات امية جسدت القابلية للاستعمار وتجسد التخلف اليوم وهي تعني عموما استبدادا أي تقييد جديدكلها لابناء الشعوب المستعمرة وعليه فالاقتصادي لا يحي القرية باعادة

[1] بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، د(ط)، د(س)، ص 35

*(كانت الاسرة الريفية الفرنسية تكتنز ما تقتصد في جورب من الصوف ويقابله عند العرب الصرة)

[3] المصدر السابق، ص36

[4] المصدر السابق، ص 37

كرامة المواطن بل يلبسه ثوب الذل كرة اخرى ويخنق انفاسه ويضيق عليه الحريات المدنية أي يثقل مشكلة الإنسان من جديد بعناصر سالبة جديدة."[1]

وبعبارة اخرى ان خطط التنمية أي كان التزامها الاقتصادي الذي نقدره قدرة ينبغي لها مع ذلك ان تطوي كشحا عن هذا الالتزام لضروريات عليا حتى لا تهوى في الاقتصادية وهو اولئك الذي يظنون انهم يحلون المشكلات البشرية كلها بسبل اقتصادية.

"يبدو ان العالم الإسلامي في هذه الاونة مصابة بهذا الداء وهو داء الحربين العالميتين في هذا القرن فانتقل من عدم الوعي الاقتصادي الشامل إلى الحصر obsession الاقتصادي"[2] "كأنما ليس لمسلم إلا سبيل واحد لتفتح ان يكون بشرا اقتصاديا homoéconomicus وان لا يكون غير هذا ولا يخفا علينا ان التعليم الإسلامي كله في القرءان والسنة يدعوه إلى الحلول الوسطى"[3] دائما:↓

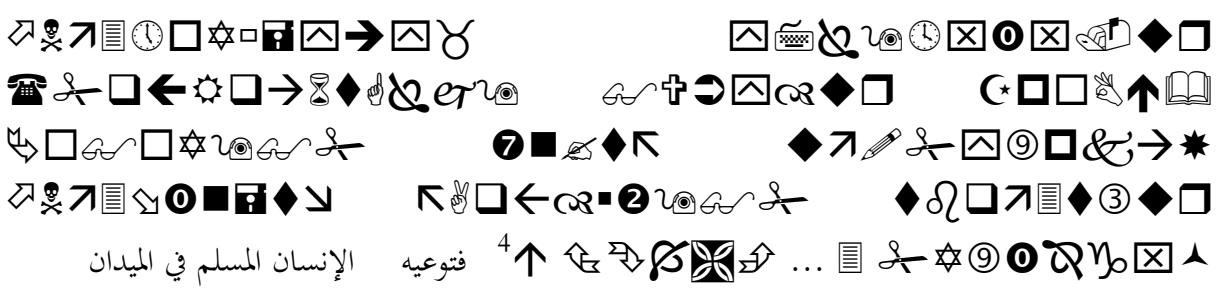

الاقتصادي لا يجب ان تجره إلى وثنية جديدة ليصبر من عباد صنع جديدة اسمه (الاقتصادانية) حتى الاقتصاد.

[1] بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر المعاصر، المصدر السابق ، ص38

[2] هذا مصطلح وفق إليه احمد عزه راجع أستاذ علم النفس في جامعة الإسكندرية جزاه الله خيرا رجع فيه إلى قوله تعالى حصرت صدورهم ....)

[3] ابن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص 40

[4] البقرة الآية 143.

المبحث الثاني: فعالية الانسان في البناء الحضاري:

1 – القابلية للاستعمار:

"لقد سلسل مالك بن نبي كتبه تحت عنوان (مشكلات الحضارة) وقد درس فيها مشاكل العالم الإنساني، ومخض مشكلة الاستعمار بشكل خاص فوصل الى نتيجة مهمة هي: ان محصلة عوامل التخلف من جهل وفقر ومرض وأوثان، وانحطاط وانتكاس في مجتمع ما بعد الموحدين ادت الى الاستعمار، وبين ان الاستعمار ليس ظاهرة خارجية بقدر ما هو ظاهرة داخلية تدعمها اسباب اجتماعية، وأطلق على مجموع هذه العوامل التي تنخر المجتمع من الداخل باسم: القابلية للاستعمار." [1] يرى بن النبي أن المجتمع الإسلامي عاجز عن تحقيق نمطه ما دام أفراده يتصفون بنوع من السلبية ولا مبالاة اتجاه مشكلات الواقع الذي خطط له الاستعمار وفرضه عليه وحلت الرضا بالواقع المتدهور والأليم دون بذل الجهد لتغييره هو ما يسميه بن نبي"القابلية للاستعمار"والتي تستمد معناها من المناخ الثقافي والاجتماعي في مجتمع الانحطاط أو ما بعد التحضر كما يجليه واقع المجتمعات المستعمرة، وكما يظهره واقع الفرد في نفسه أو سلوكه المتصف بالسلبية والاستسلام" [2]، أي أن مصير التقدم والسير نحو النهضة مرهون بالهزيمة النفسية التي انتشرت في طائفة معينة من أفراد المجتمع الإسلامي وأنها "نجد أن هذه الطائفة أخذت به إلى السير نحو التقدم، أي عكس الاتجاه الصحيح وذلك من خلال الدفاع عن الاستعمار وكل مشاريعه وحتى تأثيرها"[3].

ومن هنا مثلا نجد المسلمين من يرفض مشروع أسلمت المعرفة الاجتماعية والإنسانية الذي يهدف إلى جعل العلم وسيلة لتحقيق النهضة الإسلامية وذلك بدعوى عالمية للمعرفة.

"كما أن القابلية للاستعمار تتجلى في ذلك الكسل العقلي والعلمي الذي تواجه به مشكلات تتطلب الفعالية والمهمة العالية والنشاط الدائم فلا يمكن لمجتمع يريد النهوض من كينونته أن يهمل دعم البحث العلمي

[1] التوبة غازي، الفكر الاسلامي المعاصر، دراسة وتقديم ، دار القلم، بيروت، لبنان، ط(3)، 1977،ص 55.

[2] نورة خالد سعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك ابن نبي، مرجع سابق، ص 115.

[3] طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر – د (ط) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن ، عمان، 1995، ص 74

ويعطل طاقات بشرية هائلة ويخدرها بمختلف أنواع التخدير أو يشغلها بمشكلات ثانوية عن مشكلاتها الجوهرية خوفا من ردود أفعالها عير المتوقعة."[1]

2 – بناء إنسان جديد غير قابل للاستعمار:

ولتجاوز مشكلة معوقات النهضة وخاصة القابلية للاستعمار ذهب مالك بن نبي إلى إعادة بناء إنسان جديد غير قبل للاستعمار.

" أن أهم شرط للحضارة في نظر مالك ابن نبي هو الإنسان لذا نجده يركز على ضرورة بناء الفرد إذ أن حركة التاريخ مرتبطة ارتباطا لزوميا بحركة الجاهز الاجتماعي الأول المتمثل في الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسان منذ أن بدا التاريخ فنرى المجتمع حين يزخر بوجود النشاط وتزدهر في الحضارة وأحيانا نراه ساكنا لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبر عن حركة الإنسان وعن ركوده؟"[2].

"ولكن تحقيق العودة الحضارة للأمن أو صناعة التاريخ لا تكون بذلك الإنسان الذي لم يعد قادرا على تقديم أي أساس روحي أو مبادئ لوجوده ذلك الإنسان الذي عجز عن مواجهة تحريات واقعه فحاول الحرب إلى الداخل والانغلاق على ذاته، أما في جوامع المرابطين وأما في الخمارات ومواطن الرذيلة. (فهذا النوع لا يرهن عليه إطلاقا فهو رمز التحلل والتمزق الاجتماعي، بل الإنسان المتكامل والمتوازن هو من يصنع التاريخ حيث يقوم بدوره المزدوج المتمثل في الحضور والشهادة عن الناس المعاصرين له)" [3]، وهذا ما يؤكد عليه ابن نبي قي قوله: "فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده ومثله الأعلى في حاجاته الإنسانية والذي يؤدي رسالته في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا وشاهدا"[4].

"وحينما نعدل فهما لمعنى التاريخ والإنسان ندرك ذلك الارتباط بين الإنسان والتاريخ يدفع بنا إلى البحث من جديد عن ماهية الإنسان بينما سنجد انه يمثل معادلتين معادلة تمثل جوهره إنسان يصنعه المجتمع ومن الواضح أن هذه المعادلة الأخيرة هي التي تحدد فعالية الإنسان"[5].

---

[1] لعاطف محمد، مقومات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي، إشراف الدكتور طالب محمد مناد، جامعة الجزائر ،2008.2007،ص 134

[2] بن نبي مالك، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط(5)، 1991، ص 192.

[3] لعاطف محمد، مقومات النهضة وطرق وعلاجها في فكر مالك ابن نبي، المرجع السابق، ص 134

[4] بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط (1)، 1986، ص 32.

[5] بن نبي مالك، العالم الإسلامي، المصدر نفسه، ص 32.

"فالمعادلة الأولى تمثل عنصر الثبات المتمثل في جوهر إنسانية من طرف الخالق، والمعادلة الثانية تمثل ما هو متغير وهو ناتج عن البيئة الاجتماعية المتخيرة زمانا ومكانا والتي تلعب دورا أساسيا في تحديد سمات شخصية الفرد، وهذا يعني أن فعالية الإنسان وقدرته على صناعة التاريخ ليست قيمة جوهرية ثابتة وإنما هي ناتج المجتمع، وهذا ما يؤكد عليه علماء الاجتماع ومنه فان" [1]. "الإنسان هو الهدف ونقطة البدا في التغيير ومهما، جرت محاولات تحديثه بواسطة الاستعمار، أو الشراء للمصنوعات والمنتجات التقنية فان هذه المحاولات ستكون عقيمة، طالما أنها لم تبدأ من حيث يجب، "فالحل الوحيد منوطا بتكوين الفرد الحامل لرسالته في التاريخ والغني بأفكاره على حساب أشيائه"[2]، – "لان كرامة الإنسان ومشروعية استخلافه في الأرض يستمدها من إرادته وحريته ومسؤولياته في صناعة التاريخ"[3].

إضافة إلى هذا يجب الإنسان "أن الإنسان لا يدخل العمليات الاجتماعية بوصف مادة خام بل يدخل في صورة معادلة صاغها التاريخ وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة تحدد موقف الفرد أمام المشكلات لما يكون هذا الموقف من القوة أو الوهن، من الاهتمام أو التهاون من الضبط أو عدم الضبط[4]، فمثلا إذا وجدا ف(ي مكان ما وواجهتهما مشكلة معينة فسيتعامل معها كل منها بطريقة الخاصة، مما يعني لكل منها رصيده التاريخي والاجتماعي الذي يؤثر في سلوكياته الحاضرة ولعل هذا هو سبب عجز مشاريع التحديث المستوردة من الغرب عن تحقيق النهضة العربية نظرا لصتدامها بمعادلة اجتماعية مختلفة عن معادلة الإنسان الغربي الذي اوجد هذه الأدوات الفكرية لان الإنسان جهاز تخضع حركاته وسكناته إلى قانون صاغه ماضي أسرته ومجتمعه وثقافته، "ولا بد من النظر إلى ماضي هذا الجهاز لنعرف مدى صلاحيته في العمليات الاجتماعية والمشروعات المخططة القائمة عليه"[5].

[1] لعاطف محمد، معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك ابن نبي، المرجع السابق ص 135.

[2] عبودة العسكري، مشكلات الحضارة بين اين خلدون وابن نبي، مجلة رؤوف فضيلة، العدد 20، 2003، ص 56.

[3] حمودة سعيدة، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، الموافقات، مجلة جامعية تعنى ببحوث اسلامية، مجلد03، العدد 03، 1994، ص 343.

[4] بن مالك نبي، تأملات، المصدر السابق، ص 182.

[5] المصدر نفسه، ص 182

3- الإنسان عنصر من عناصر الحضارة:

"يرى مالك بن نبي بان كل شعوب الارض على اختلاف اجناسها قابلة مبدئيا لان تشيد حضارة، يبدو شكل الحضارة من الواجهة الكونية وكأنه نجم مثالي يسير في مدار حول الارض بإمكانه ان يسطع بالتتابع في افق كل الشعوب، وقد استهل كتابه" شروط النهضة" بأنشودة رمزية يقول فيها: ... ودع ادم الشماء متضرعا، فاستجابت له السماء، اذهب ايها الإنسان، فاني قد منحت عقلا ويدا وزودتك بالتراب والزمن فان ذلك في هذه الحياة ان تحلق في الفضاء كما تفعل الطير وتسبح في المياه مثلما تسلك الحوت"[1].

"ويعرف الحضارة من عدة جوانب الأولى: باعتبارها جوهرها فهي بهذا الاعتبار تتطابق مع معنى الثقافة عنده أي يعرفها بأنها (في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحققة)"[2]، فالثقافة هي جوهر الحضارة لان كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ.

"وبهذا المعنى نفسر التحضر بمعناه أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقة الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من اجل وضيفتها التاريخية"[3]، أما الجانب الثاني فيعتبر الحضارة المبدأ الذي تتأسس في ضوء وطبيعة مجتمعاها أما فيما يخص الجانب الثالث "الحضارة باعتبار عناصرها التي تتركب منها فهي في هذا الجانب بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاث عناصر حفظ وهي الإنسان والتراب والزمن"[4] .

فالحضارة إذن تساوي الإنسان + التراب + الزمن فكل حضارة تستلزم إنسانا وتراب ووقت فالحضارة هي مجرد مركب من عدت عناصر الثلاثة ولكن لابد أن يركبها العامل الأخلاقي .

"إ ن تعريف مالك للحضارة من عدت جوانب هو في الحقيقة أيضا ومحاولة تجليه لحقيقتها وحدودها ومعناها أن الحضارة كل ما ينجر أدنها تتكون من جانبين معنوي ومادي، أن كانت المادة متوقف على الجانب المعنوي ومنه فهو يعتبر مشكلة الحضارة من المشكلات الاجتماعية باعتباره ا مختصة بالمجتمع التاريخي"[5].

فالحضارة عند مالك ابن نبي كما سبق بيانه من ناحية تركيبها ذات عناصر ثلاثة هي الإنسان والتراب والزمن والإنسان هو العنصر الأساسي من تلك العناصر الثلاثة إذ أن العنصرين الأخيرين أي التراب والزمن

---

[1] بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 93.

[2] محمد علي مناد، مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، طرابلس، لبنان، دار الإيمان، 1991 د(ط)، ص 91.

[3] بن نبي مالك، ملاد مجتمع، المصدر السابق، ص 11.

[4] بن نبي مالك تأملات، المصدر السابق، ص 191.

[5] بن حميد العوسي، عبد الله مالك ابن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنصر، د(ط)، د(س)، ص 391.

يشكلان المجال الذي تظهر فيه عبقرية الإنسان وفعاليته، وتركيب العناصر الثلاثة أما يتم بواسطة الدين الذي يحقق بتركبها حضارة من الحضارات تؤدي وضيفة اجتماعية تتمثل في تحقيق الضامنا ت لذلك المجتمع في أمور معاشة "وهذا يشمل الحضارات كلها من ادم عليه السلام إلى أخر الدنيا كما يرى أن تطبيق المنهج الإسلامي على الحضارة باعتبارها آية يلزم فيه النظر إليها من الزاويتين التين سبق بيانها بواسطة تحليل عناصرها التي تكونها في الواقع وبيان في هذا الأمر يبين قصة استخلاف أدام عليه السلام كما وردة في القران الكريم"[1].

فبنسبة إلى تحديد العناصر نلاحظ ما يأتي:

أولا الإنسان: كما في قول الله تعالى: ↓ ﴿

↑ ﴾[2].

ثانيا الأرض : كما في آية السابقة وهو قوله عزوجل: ↓ .....﴿

↑ ﴾[3]

والتعبير عن هذا العنصر في الأرض أولى وأحق من التعبير بالتراب باعتبار علاقة الإنسان بالأرض وكونها علاقة استخلاف وليست كما في المظهري بين الذين أرتاهم مالك بالنسبة لعلاقة الإنسان بالتراب الملكية والناحية النفسية بإطلاق بل في إطار الاستخلاف هذا فيما يتعلق بالإنسان والتراب لنتوجه إلى العنصر الثالث: الزمن كما في قول الله تعالى: ↓ ﴿

↑ ﴾[4]، هذا بالنسبة إلى

[1] المرجع السابق، ص 392

[2] سورة البقرة، الاية 30.

[3] سورة البقرة، الاية .36

[4] سورة البقرة، الاية 38-39.

العناصر أما المركب لها أو المنهج الذي تتركب تلك العناصر بواسطته ويحدد وضيفتها ووجهتها فنجده في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [1]، وعلى هذا فالحضارة تحال إلى:

جانبين الأول: العناصر الثالثة الإنسان والأرض والزمن والثاني منهج يوضح كيفية أداء الإنسان لوظيفته وكالمواصلة لتحليل نكشف عن الجانب الأول العناصر الثلاثة الإنسان والأرض والزمن والثاني منهج يوضح كيفية أداء الإنسان لوظيفته وكمواصلة لتحليل نكشف عن الجانب الأول وإدراك صلتها بالله عزوجل من حيث المبدأ والغاية.

فالعناصر الثالثة ترجع في حقيقتها إلى كلمة الله عزوجل، ومصيرها في النهاية إليه، وكذلك المنهج يعود إليه عزوجل باعتبار كلامه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [2]، إذا الكون مسخر للإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [3]

والإنسان مستخلف بما أودعه الله ويمكنه تحقيق وضيفة الاستخلاف في المعاد والمعاش حسب سنة الله.

فالإنسان يحتاج الحاجات روحية ومعاشية لاستمرار حياته.

---

[1] سورة البقرة، الآية 38-39.

[2] سورة البقرة، الآية 116-117

[3] سورة البقرة، الآية 164

على هذا الأساس فالحضارة هي ثمرة موقف الإنسان من الوحي.

"فمنه ابن مالك ابن نبي يرى أن المجتمع الإسلامي يمكن أن يكون متحضرا أو متخلفا بحسب المرحلة التاريخية التي يعيشها ومن أهم ما ينبغي ملاحظته بالنسبة إليه كمشكلة الحضارة تميزت فيما يلي: انه تناول

الحضارة من الناحية الكونية، أي باعتبار اتجاه حضارة إنسانية بمجموعها والغاية التي تتجه إليها ومنه فقد سبق بيان تحديد مالك للحضرة من هذه الزاوية وفي نطاق رايته تلك يشير بان المستقبل للإسلام"[1]، فمننه فهو رد الحضارة إلى الناحية الكونية والتاريخية والإنسانية وربطها بالإسلام الذي بدوره يشير إلى المستقبل.

"وعليه نلاحظ أن مالك ابن نبي ربط مشكلة الحضارة بالناحية الاجتماعية حيث أنه يرى أن أي مجتمع لا يمكن أن ينجز حضارته ويحقق الفاعلية في حركته ما لم يجسد مبادئه في عالم الواقع وبالتالي فالمجتمع الإسلامي اليوم لن ينجح في إقامة حضارته ما لم يجسد ذلك الدين الحق في عالم الواقع الذي يتحقق في تجسيده الأمرين معا النتيجة والغاية"[2].

"ومنه نجمع الإنسان هو إنسان نوعا وجمع تراب هو تراب نوعا وجمع وقت هو الوقت نوعا بالتالي يمكن أن اكتب النتيجة التحليلية في صورتها النهائية حضارة = إنسان + تراب + وقت ونتيجة هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تنجلي إلى ثلاثة مشكلات أولية هي مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، ومشكلة الوقت"[3].

فمالك يجعل العناصر الثالثة في مستوى واحد إذ أن الإنسان هو الأساس والتراب والزمن هما مجالات لظهور عبقرية الإنسان وفاعليته.

4- دور الإنسان المسلم المعاصر في بناء الحضارة:

الغرض من هذه الورقة بيان تشخيص مالك بن نبي للظواهر التي تسود العالم الاسلامي المعاصر، وتغيير منشأها، وكيف يكمن الخلاص منها باعتبارها ظواهر التخلف.

ولكن لنفهم تشخيصه لهذه الظواهر لا بد من الاشارة منهجه الدي طبقه على حقل دراسته، الذي يهمنا هو المجتمع الاسلامي ونظرة مالك بن نبي اليه، نظرة تاريخية تطويرية حركية شاملة، وليس دراسة سكونية

[1] بن حمد العوسي عبد الله، مالك بن نبي، حياته وفكره، المرجع السابق، ص395.

[2] المرجع نفسه، ص395.

[3] بن نبي مالك، دور السلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، المصدر السابق، ص64-65.

جزئية مقتصرة على مرحلو معينة من مراحل التاريخ ويرتبط هذا بمنهجه الذي رسمه لنفسه، اذ انه يعتمد على الزوقائع النفسية الاجتماعية المسجلة على صفحة الزمن في صورة حضارة او ثقافة.

ويتحد منهجه بنظريته في المراحل الثلاثة التي يقع في حدودها المجتمع.

1 - مرحلة ما قبل التحضر.

2 - مرحلة التحضر.

3 - مرحلة ما بعد التحضر"[1]

"فتفسير مالك بن نبي يقوم إذا على ان تاريخ أي مجتمع ليس إلا تاريخ شبكة علاقاته الاجتماعية، التي تصنعها في البداية فكرة دينية فالدين يصنع شبكة العلاقات الروحية التي تربط أنفس المجتمع بالإيمان بالله، وفي الوقت نفسه يربط أفراد المجتمع بشبكة أفقية التي تتيح له أن يقوم بنشاطه المشترك، الذي يقوم في أساسه على نظام الانعكاسات- الذي يغير سلوك الفرد بتوجيه طاقاته الحيوية، وهذا التغير النفسي هو الشرط في كل التغير الاجتماعي لأحداث التركيب العضوي التاريخي بين العناصر الاجتماعية الثلاثة، الإنسان، التراب، الوقت."[2]

فالمجتمع الإسلامي المعاصر انما هو اليوم في مرحلة ما قبل التحضر من جديد هذا ما يقرره مالك بن نبي وينتهي إلى القول: بان المجتمع الإسلامي الحاضر يعتبر حقل دراسة يقدم ملاحظات عظيمة الأهمية للعالم الاجتماعي، الذي يدرس مثل هذه المسائل" المتعلقة بالدراسة الجدلية عالم الثقافة في عناصره الثلاثة: عالم الأشخاص، "عالم الأشياء عالم الأفكار في حركتها لان خصائص هذه الحركة تكون تابعة للعلاقات الداخلية التي تقوم بين عناصرها بعالم الثقافة، فهي متداخلة ولكن الجدلية الداخلية هي التي تحدد طبيعة هذا التداخل في نشاط المجتمع، بما يتناسب بكل طور من اطوار حركته".[3]

أن الأهداف النهظوية لا يمكن أن يحققها إلا ذلك الإنسان الذي تخلص من روابي الماضي وحافظ على توازنه النفسي أما الانجازات الباهرة للحضارة المعاصرة التي حققها ذلك الإنسان الذي تعرف على ذاته واستفاد من الخبرات التي يحملها تراثه الممتد عبر القرون، كما استطاع أن يخلص نفسه من مختلف السلبيات التي استنشقها فكريا وسلوكيا عبر هذا التراث الذي تعرض للتشويش والطمس خلال فترات الانحطاط.

[1] بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص37

[2] أعمال الملتقى الدولي اكتوبر2005، مالك بن نبي، فكره وأعماله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، د(ط)، 2005، ص139.

[3] المرجع نفسه، ص 139.

"وتعرف أيضا على حقيقة الأخر كما هو لا كما رآه هي في حالة انبهار أو كما أراده الاستعمار العسكري والإعلامي أن يرى فاصلتها حينها فقط يستطيع الإنسان العربي أن يحقق توازنه الحضاري ان صح التعبير"[1]، وفي هذا الحال يستطيع أن يتعامل مع الأخر ويتحاور معه دون عقد وفض، ولا انبهار كما انه سينظر إلى ذاته على حقيقتها من دون تمجيد ولا نكران وحينما يتحقق هذا على ارض الواقع نستطيع القول أن "هذا الإنسان الجديد قد قطع ثلثي المسافة نحو باب الحضارة، ولم يبقى له سوى الثلث الأخير الذي سيقطعه حينما يجتهد ويتمكن من آليات التواصل والحوار ويبحث لنفسه عن دور لخدمة الإنسانية"[2]، "ولعله حينما يتعرف جيدا على الأفراد سيجد أن الإنسانية اليوم تعاني من طغيان النزعة المادية وهي في حاجة الكثير من الأشياء أو بالأحرى القيم التي حرمتها مكانتها الحضارة الغربية المعاصرة"[3]، وحينها يتبين إلينا انه يمتلك من ثقافته وفي تراثه الذي أصبح يتعامل معه بعقلانية رافضة للتمجيد والتنكر معا، بعض حاجات الإنسانية فيبادر إلى تعريف الأخر بذاته، "من خلال تعريفها بتلك القيم الروحية الأخلاقية العليا التي أصبحت نادرة أن لم نقل منعدمة في أسواق الحضارة الغربية، وما أن ينجح في هته المهمة التي قد تكون صعبة إلى حد ما حتى يشعر بأنه يختلف فعلا عن غيره لكن اختلاف تكامل لا اختلاف تناقض يؤدي وجود احدهما إلى الأخر"[4]، "كما يجب أن نذكر أن الإنسان يمثل سبابا فاعلا وغائبا في الوقت نفسه بالنسبة للحضارة" [5]، "إذ أن الحضارة لا تقوم إلا إذا شرع هذا الإنسان في بنائها وكما أحكمت قواعد هذا البناء وتجسد في الواقع مشروعه، انتفع الإنسان بعطاء حضارته ولقي مكانته في الوجود وفي التاريخ"[6]، ومنه فان تجاوز معيقات النهضة يتم من خلا الرفع من مستوى الإنسان المسلم إلى مستوى الإنسانية أولا ليفهما جيدا ثم يأمل ذاته ويتعمق في فهم حاجيات الإنسانية في عصره لعرف بعد ذلك الآخرين بنفسه وبمشروعه الذي يحمله وأهمية ما يسعى لتقديمه للأخر من اجل أنقاضه لذلك الفراغ الروحي والأخلاقي الذي انعكست أثاره سالبا على حياته، إذا انه أصبح عاجزا عن الشعور رغم ما فقهه من تضخم وإشباع في

[1] العاطف محمد، معوقات النهضة وطرق علاجها، مرجع سابق، ص 144.

[2] بن نبي مالك، دور السلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن 20، مصدر سابق، ص 59.

[3] اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكر إصلاحيا، دار النفائس بيروت،ط(2)، 1986، ص 202.

[4] العاطف محمد، مقومات النهضة وطرق علاجها، المرجع السابق، ص 145.

[5] سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي، دراسة في ضوء الواقع المعاصر، المعهد العالي للفكر الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط (1) 1993، ص 92.

[6] محمد بغدادي باي، التربية والحضارة بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في منظور مالك ابن نبي، دار الغرب، الجزائر، ط (1) 2015، ص 38.

المجال المادي[1]، ويجب على المسلم أن يقدم نفسه على أساس انه يقوم بدور مكمل لادوار الآخرين لا على أساس أن يكون بدلا، الأمر الذي قد يزعج الأخر ويجعله يوجس منه خفيتا من انه مصدر للضعف وللخطر والإرهاب، فيسخر جهوده المادية والعلمية للقضاء عليه حتى وان كان يدرك تماما بأنه يمتلك القدرة على تقديم حاجات الإنسانية المتعلقة بالجانب الروحي والأخلاقي والتي عجزت حضارة الكمي والمادة أن تقمها للإنسانية فطبيعة الإنسان المتمثلة في تعلقه بذاته لا تسمح له بان

"يفسح المجال أمام من يسعى لإزاحاتها من مكانتها التي منحتها إياه الذروة الحضارة في مرحلتها التاريخية الراهنة، لذي فن مجرد شعوب أن مجتمع ما يزاحمه لتضيق الخناق عليه أو لفرض بديله الحضاري وفق تصوراته فان الغريزة الدفاع عن النفس تتحرك بقوة وفعالية لتضرب بعنف، وفي كل مكان تستطيع الوصول إليه"[2].

5- مركزية الإنسان في المعادلة الحضارية:

"يرى **مالك ابن نبي** أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة ومشكلة الإنسان الافرواسيوية هي في جوهرها مشكلة حضارة يعني أن يحقق هذا الافرواسيوي من طبعة إلى جاكرتا وضعا عاما متحررا من العوامل السلبية التي فرضها الاستعمار القابلية للاستعمار على حياته في هذه المنطقة"[3].

وفي هذا الصدد يرى الدكتور إبراهيم رضا أن ما يعطي التميز والأهمية لرؤية مالك ابن نبي لقضايا الإنسان ومشكلات الحضارة يرجع إلى عدة أسباب ومنها:

السبب الأول: يتعلق بالإطار النظري المجرد الذي تناول من خلاله ابن نبي قضايا الإنسان، حيث يتعامل معه ضمن ما سماه مشكلات الحضارة ولهذا فان أهم ما يمز أفكار ابن نبي من هذه الناحية هو ما يملكه من أفكار حضارية رهينة في النظر إلى مشكلات الإنسان عامة والإنسان المسلم خاصة.

السبب الثاني: يتعلق بسعي مالك ابن نبي لتحويل الكثير منن أفكار النهضة ومشاريع التغيير والإصلاح التي استفادتها من قرأته المختلفة إلى برنامج وخطط فكرية عملية وقادرة على رفع مستوى فاعلية مستوى الإنسان وانجازه الحضاري قصد تجاوز الواقع المتردي الذي شكلته نفسيته القابلية للاستعمار في البلاد العربية الإسلامية.

[1] مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثالث الأخير من القرن العشرين،المرجع السابق ص38.

[2] العاطف محمد مقومات النهضة، المرجع السابق. ص46

[3] بن نبي مالك، الفكرة الإفريقية الاسياوية في ضوء مؤتمر باندونغ، (تر) عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، دمشق، ط (3)، 2001،، ص 77.

السبب الثالث: "يتجلى في الدقة المنهجية العالية التي ميزة نظرة مالك ابن نبي لقضا الإنسان في علاقته بالمشكلات الحضارية التي اختارها مجالا لكتابته كلها حيث تعد اجتهادات في هذا الصدد رائدة في تأسيس علمي ما يمكن تسميته في الفقه الحضاري للإنسان"[1].

ولا يعسر على الدارس لنصوص مالك ابن نبي استخلاص المكانة المركزية التي يتبنها الإنسان في مشروع البناء الحضاري إذ الفاعلية الحضارية في كيانه يمثل اللبنة الأولى والرئيسية التي يبنى عليها المشروع الحضاري كله عند "ملك ابن نبي فبناء الإنسان في نظرته اسبق من كل تشيد مادي في المشوار الحضاري وهذا يتطلب في نظره دراسة على أهم القوانين والسنن التي تتحكم في حركة الكانسان وفاعليته في التاريخ تأسيسيا للحضارات وبناء لها أو انحطاط لها وبهذا المجال نجده يدعوا إلى استيعاب أكثر ما يمكن من نتائج العلوم الإنسانية والتطبيقية قصد توظيفها لصياغة القوانين والمعادلات التي يعتقد أنها توجه الحضارات وتتحكم في دورتها الخالدة"[2].

وعند تحليله لعناصر الحضارة يرى ابن نبي أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت[3].

"تكمن أهمية الكانسان كعنصر مركزي في المعادلة الحضارية في كون العناصر الحضارية صامتة لا تنطق إلا بلسان الكانسان وهو من يعطيها دلالة وقيمة، وكل بناء سليم للإنسان تربويا وثقافيا يعني بالضرورة اكتساب الزمن والتراب الشرطية و والقيمة الحضارية، ويجب أن نلاحظ أن الحضارة الإسلامية انتهت منذ الحين الذي فقدت في أساسها قيمة الإنسان، وليس من التطرق في شيء القول بصفة عاملة أن الحضارة تنتهي عند ما تفقد في شعورها معنى الإنسان"[4].

"من اجل ذلك يقدم مالك ابن نبي الإنسان باعتباره أساس الحضارة واحد ابرز معالمها فهو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده، لذلك الاهتمام بمشكلة الإنسان ومحاولة إيجاد الحلو لها يستدعي توجيه العناصر الثلاثة: الثقافة والعمل، ورأس المال، ولما كانت الثقافة كانت الثقافة مرتبطة ارتباكا وثيقا بالحضارة في رأي مالك ابن نبي فان الاهتمام بها في فكره كان حاضرا بقوة"[5].

---

[1] رضا إبراهيم، مالك بن نبي من حضارة الكم والأشياء الى حضارة الإنسان والقيم ضمن رحابة الإنسانية والإيمان، المرجع السابق، ص 230.

[2] الرجع السابق، ص 231.

[3] بن بي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 49.

[4] بن نبي مالك، القضايلي الكبرى، دار الفكر، ط (1)، 1991، ص 164.

[5] بوعلام ولهي، مشكلة الإنسان والتوجيه الثقافي عند المفكر الجزائري مالك ابن نبي، ضمن مالك ابن نبي بقلم معاصريه، المرجع السابق ، ص 27.

"إن الإنسان باعتباره العنصر الفاعل الذي تبدأ منه عملية التغيير لا يتوقف دوره في المجتمع على حفظ النوع بل هو خليفة الله في أرضه، وهذه الوظيفة الاستغلالية توجب إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة من العقيدة الدينية يكون اقدر على القيام بدوره الفاعل في بناء مجتمعه" [1].

"فالثقافة كما يقول ابن نبي مما تتضمنه من فكرة دينية نظمت الملحة الإنسانية في جميع أدوارها ولا يسوغ أن تعد علما بتعلم الإنسان بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله يغذي الحضارة في أحشائها فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه كما في ذلك الحداد والفنان والراعي والعالم والإمام وهكذا يترتب التاريخ"[2].

"ولذلك يرى مالك بن نبي أن الحضارة لا تظهر في امة من الأمم إلا في صورة وهي تهبط من السماء، يكون للناس شرعا ومنهاجا أو هي على الأقل تقوم أساس في توجه ناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فك أنما قدر للإنسان أن لا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدا عن حقيقته إذ حينما يكشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها اسما معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها"[3].

"فرسالة الإنسان في الحية الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا، فهو لا يؤثر طبقا لوجوده الزمني فحس، اعني تبعا لحاجاته المادية، بل يؤثر طبقا لوجوده النفسي اعني طبقا لحاجته الروحية، وهي تلك حقيقة الإنسان كاملة، وهي ما ينبغي أن ندركه لتناوله كلا غير متجزء فما كان لنا أن نحدد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا احد هاذين الجانبين، الروحي أو الزمني فهو من الجنب الأول إنسان متدين فالعنصر الديني يتدخل هنا مباشرة في الطريقة التي يتبعها لاستبطان ذاته باعتباره أساسا لضمير يبحث عن نفسه، هذا الضمير الدين قد ارتبط بالوعي الاجتماعي ربطهما الإنسان ذاته ربطا لا يمكن معه أن ينفصل احدهما عن الأخر وإذا فالإصلاح الديني ضروري باعتباره نقطة في تكل تغيير اجتماعي"[4].

6- مركزية الإنسان في مشروع التربية:

[1] السعد نورة خالد، مالك ابن نبي والثقافة التغيرية ضمن مالك بن نبي بقلم معاصريه،المرجع السابق ، ص 13.

[2] بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 92.

[3] المصدر نفسه، ص 56.

[4] ابن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 155.

لقد جعل **مالك بن نبي** الإنسان هو المركز في معادلة الحضارة التراب الإنسان، الزمن) وحدد حالاته المختلفة حسب موقعه في العوامل الثلاث (عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الأشياء) كما انه استوحى أطوار (الدورة الخالدة) والقيم المتحكمة في تهديها من الحالات التي يكون عليها الإنسان في كل طور منها (الروح، العقل، الغريزة) مفلسفا أعراض العالم الإسلامي مجتمعا في مفهوم جامع للإنسان الذي يعاني عذابتها (إنسان ما بعد الموحدين) كما قام بقياس فعالية المجتمع ومدى العلاقات الاجتماعية لأداء الإنسان ودرجة "فعاليته الاجتماعية فأكد على أهمية تغيير إنسان ما بعد الموحدين في إطار ثقافته في مشروع تغيير سمى البرنامج التربوي للثقافة وجعل له عناصر محددة.

– الدستور الخلقي أو الفلسفة الأخلاقية التي توجه المنهج التربوي لعالم الأشخاص.

– الذوق الجمالي الذي ينمط الذوق العالم لأفراد المجتمع.

– عنصر المنطق العلمي الذي يعني بفاعلية المجتمع.

– الفن التطبيقي العلمي الذي يعنى بفاعلية المجتمع"[1].

– من هذا البرنامج نتبع فكرة التربية الاجتماعية التي لا تعني شيئا إذ لم تكن وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه "كيف يعيش مع أقرانه، كيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون مهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ"[2].

"فالتربية ليست مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع بل هي التوجيه العام للثقافة التي يحملها هذا الإنسان الذي يحول له استكمال الشروط اللازمة لتشييد حضارة تطابق إطاره الخاص كمخلوق مكرم من الله عزوجل. ومأمور بالعبادة واعتمار الأرض ومن خلال تلك العلاقة تحدد علاقة التربية الفردية بالتربية الاجتماعية في صورة أهداف مشتركة توجه الفرد نحو المجتمع نحو الفرد بتقديم الضمانات الاجتماعية له، فانسجام الثقافة العامة للمجتمع شرط وصول ذلك بحيث تتناسب القبليات الاجتماعية في صورة ماضي وقيم وأهداف مقدسة، والإنسان لا يدخل العمليات الاجتماعية مجردا من تكوينات نفسية سابقة، بل يدخلها في صورة معادلة شخصية صاغها التاريخ بتجارب وعادات ثابتة مخبار الفرد"[3].

---

[1] بن نبي مالك، دراسة استقرائية، معالم المنهج في تأصيل العلم الإنسانية، دار النايا، دار المحكات لدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط(2)، 2012، ص 140.

[2] بن نبي مالك، ميلاد المجتمع، تر عبد الصبور شاهين، المحامي عمر مسقاوي، طرابلس، لبنان.، د(ط)، د(س)، ص93

[3] بن نبي مالك، دراسة استقرائية، معالم المنهج في تأسيس العلوم الإنسانية، المصدر السابق، ص 141،142

" وإذن لا تكفي هنا نظرة مجردة إلى المستقبل لان الإنسان جهة دقيقة ولكنه جهاز تخضع حركاته وسكناته إلى قانون صاغه الماضي أسرته ومجتمعه وثقافته، ولا بد من نظرة إلى ماضي هذا الجهاز لنعرف مدى صلاحيته في العمليات الاجتماعية والمشروعات المخططة القائمة عليه" [1].إذن من هنا نعلم أن التاريخ هو أساس التغيير الاجتماعي حيث ينطلق منه أو أن صح القول فهو من القبليات التاريخية لأفرادهم ومن مقوماتهم الثقافية.

وتمثل في النهاية مقومات المجتمع على مستولى القيم كماضيين تربوية توجه التربية الاجتماعية يقول جودت سعيد والاهتداء إلى أسس وقوانين التي تدمج الفرد الذي بالمجتمع تجعل الإنسان سلطانا على صنع المجتمع "وصياغة الفرد ينشا فيه كما يحقق المجتمع لهذه السنن حالة ال(نحن) أي شعور الفرد بالكيان الاجتماعي الذي يندمج فيه بالرغم من اختلاف هذه الكيانات في أشكالها فان سننها واحدة"[2].

"وهذه الصياغة التي يخضع لها الفرد مستوحاة في ادوار التربية التي تهدف إلى تنظيم المشاركة القصيدة للفرد في المجتمع، ويعتبر "جون ديوي"* "التربية عملية اشتراك الفرد مع بقية أعضاء المجتمع اشتراكا عن وعي وقصد اشتراكا في حياة المجتمع الإيجابي ومن ثم لا يمكن التأكد من إصلاح اجتماعي إلا إذا وجهنا نشاط الفرد وتفكيره على أساس انه يستخرج ليشترك مع المجتمع في حياته وإنتاجه"[3].

[1] حمود سعيدة، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، المرجع السابق، ص115

[2] بن نبي مالك، تأملات، المصدر السابق، ص141

* جون ديوين فيلسوف ومربي أمريكي حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة هويكثر عامة ،ص11

[3] صالح العزيز عبد المجيد،التربية و طرق التدريس، ج (1)، دار المعارف، بمصر، ط(12)، د (س)، ص 50

المبحث الثالث: علاقة الإنسان بالمجتمع ودور الدين والثقافة في التجديد الحضاري.

أ –الإنسان والمجتمع ونظرية اجتماع الإنساني:

"إ ن مصطلح مجتمع في معناه البسيط – المعنى الأدبي الذي يعطيه القاموس: يعني تجمع أفراد ذوي عادات متعددة ويعيشون في ضل قوانين واحدة ولهم فيها بينهم مصالح مشتركة، ومن هنا ينبغي علينا أن نحدد المجتمع في نطاق الزمن، وتجمعت الأفراد الذي لا يعدل الزمن من علقتهم الداخلية ولا تغير أشكال نشاطهم خلال المدة لا تعد من التجمعات الخاصة التي نقصدها بمصطلح مجتمع"[1].

والجامعة الإنسانية المقصودة منذ ليفين برين – بعبارة المجتمعات البدائية التي لا تتغير صورة حياتها تماما تعتبر مستعمرة النمل خلال ألاف السنين هذه الجماعات خارجة عن نطاق التحديد في حياة هذه الجماعات الإنسانية تصور لنا حتى الآن مرحلة مرة بها الإنسانية في عصور ما قبل التاريخ وفي هذه المرحلة تنحجز الصفات الاجتماعية ويندر تنوعها من عصر إلى أخر.

"ولو أخذت عينة من حياتها الاجتماعية يفصل بينهما ألاف السنين لوجدهما متطابقين على ما لاحظه المختصين في "علم الأجناس" الذين يدرسون اليوم الحياة الإنسانية في بعض أقطار إفريقيا الاستوائية حيث أن كل تغيير يحدث في التوجيه الثقافي للجماعة إنسانية معينة هو نتيجة مباشرة لوظيفتها التاريخية فعليه فان كل جماعة لا تتطور ولا يعترها تغيير في حدود الزمن تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة مجتمع"[2].

" وأي كان الأمر فالمجتمع هو الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح "ميلاد" وهذا الأخير يعتبر "كحدث" يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة ومع ذلك فان هذه الصورة الجديدة للحياة المشتركة قد تبدأ بمفرد واحد يمثل في هذه الحياة نواة المجتمع الوليد والمقصور بكلمة امة عندما يطلقها القران الكريم على إبراهيم عليه السلام: بانه وحده امة."[3]

---

[1] بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] المصدر نفسه، ص .15

فيف هذه الحلة نجد أن المجتمع "الأمة" يتخلص في إنسان واحد

"الأمر كذلك بالنسبة للمجتمع فهو ليس مجرد مجموعة من الأفراد بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم بناء على ما تقدم على عناصر ثلاثة هي حركة يتم بها المجموع الإنساني وإنتاج لأسباب هذه الحركة وتحديد لاتجاهها، فهذه هي العوامل الثلاثة التي يدين لها مجموع إنساني معين بخصائصه الاجتماعية التي تخيله مجتمعا، بالمعنى المنطقي للكلمة"[1].

والواقع أن فكرة الحركة تلك إلي تتطابق مع مفهوم التغيير والتطور تعتبر عنصرا جوهريا في التعريف في علم الاجتماعي، وفكرة الحركة تساعدنا هنا على التفرقة بين المجتمع وبين سائر أشكال الجماعات الإنسانية التي لا تتصف بما سبق أن اشرنا إليه من خصائص اجتماعيةِ. وعليه فان الحركة في علم الاجتماع تتبع فكرة ذات قيمتين فان تطور الجماعات فأما أن يؤدي بها إلى شكل راقي من أشكال الحياة الاجتماعية وأما أن يسوقها إلى عكس ذلك، وعلى أي حال فان أمام كل مجتمع غاية فهو يندفع في تقدمه أمام الحضارة وأما إلى الانهيار وفي مقابل ذلك نجد انه حينما تنعدم الحركة فان الجماعة الإنسانية تفقد تاريخها إذ تصبح ولا غاية لها.

"فهذا هو في نهاية الأمر المقياس الأساسي الذي يساعدنا على أن نواجه مشكلة ميلاد مجتمع معين تكتب الجماعات الإنسانية "المجتمع" عندما نشرع في الحركة، نقصد هنا بالحركة عندما تبدأ بالتعبير نفسها من اجل الوصول إلى غايتها، وخلاصة القول أن الطبيعة توجد النوع ولكن التاريخ يصنع المجتمع وهدف طبيعة هو مجرد المحافظة على البقاء بينما غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما نطلق عليه اسم الحضارة"[2].

ب – فطرية الاجتماع الإنساني:

"من بديهيات الطبيعة الإنسانية الميل الفطري إلى الاجتماع في إطار إرشادات موحدة، وكثيرا ما يستحضر في هذا السياق كلام ابن خلدون " الإنسان اجتماعي بطبعه" وهذا الطبع بمفهوم النص القراني يتحدد في (الفطرة) التي أودعها الله في الكائنات كلها يقول مالك ابن نبي في هذا الصدد (ففي مستوى حشرة بسيطة

[1] المصدر السابق، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

كالنملة نرى أن الحياة الاجتماعية ضرورة لكيان الفرد فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة إذ انفصل عنها الإنسان شانه في هذا الشأن النحلة). انه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع ويحاول جهده الخاص إذ مصيره من غير شك إلى الموت"[1].

ا ن مالك في هذا الصدد أشار إلى المجتمع الحيواني (النحل) لتعميق فهم فطرة الاجتماع البشري وانه معطى كوني بشري محض – إذا هنا يمكن الاختلاف بين المجتمع الحيواني والمجتمع الإنساني هو طبيعة الأهداف التي تتحرك كلا منهما نحو أفراده، فإذا كانت وظيفة المجتمع بصفة عامة هي حفظ كيان الفرد وتحقيق أهداف معينة فان هذه الأهداف في مستوى الحشرات تتلخص في حفظ النوع لكلها في مستوى الإنسان الأكبر من مجرد النوع فقط لان الإنسان يعيش لأهداف أخرى تتجاوز فقط النوع إلى مستوى الارتفاع بالنوع وجهة الحضارة يقول ابن نبي " فان الطبيعة تأتي بالفرد في حلة بدائية ثم يتولى المجتمع تشكيله ليكيف طبقا لأهدافه الخاصة"[2].

وهو المعنى الذي يقصد إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله:" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[3].

– دور الدين في تحديد حضارة الإنسان:

يعتبر مالك بن نبي الدين من بين المفاهيم النظرية الاجتماعية وعلى هذا الأساس يره مالك بن نبي أن مشكلة إصلاح الفرد وجعله سلوكا اجتماعا مؤثرا وفعالا في المجتمع، فالعلاقة إذا هي علاقة تكامل بين الدافع الداخلي للدين والسلوك الاجتماعي وعليه بين مالك بن نبي المنهج الحقيق للإصلاح في قوله: ".... يهدف الإصلاح إلى توفير الدافع الداخلي لدى جماهير الشعب تلك الجماهير المتعطشة إلى انتفاضة القلب كيفما تنتصر على ما أصابها من خمود"[4].

وإذا كان مالك بن نبي من بين المفكرين المصلحين فهو يمثل صحوة إسلامية ومنبهات حضارية ساهمت وبقصد كبير في بث الوعي الاجتماعي والديني والتربوي والسياسي، يقول مالك بن نبي: "وقد نتج عن هذا أن الحركة الإصلاحية لم تستطع تغير النفس الإسلامية بل لم تستطع أن تتراجع إلا للغة الواقع فكرة (الوظيفة الاجتماعية)، للدين ولكنها على أية حال نجحت في ازالة الركود الذي ساد مجتمع ما بعد الموحدين حين أقحمت

[1] المصدر نفسه، ص 16.

[2] العاطف محمد، شروط النهضة ومقوماتها في مفكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 98.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

[4] بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 55.

في الضمير الإسلامي[1]، لم يكن مالك بن نبي على وفاق تام مع هذه الحركة لان نضرتها لازمت العالم الإسلامي وتخلف، لا تستمد أصالتها من واقعه المعاش[2]، وعلى الرغم من نقده لهذه الحركة وللمرجعية

الفكرية التي تعتمد عليها في قراءتها لظاهرة التخيل في العالم الإسلامي لا يمنعه من إبراز الدور الذي قامت به وخاصة في المجال الفكري وعلى ضوء رصد مالك بن نبي لمنهج الإصلاح بشقه السياسي والاجتماعي يصل في نهاية المطاف إلى أحداث التجاوز كما سبقنا أن أوضحنا، "والى بناء تصور جديد يمنح فيه الإنسان مكانة هامة ويعتبره حجر الزاوية والتغيير الاجتماعي والبناء الحضاري وعليه يحدد مالك مفهوم الإنسان بوصفه عنصرا جوهريا في عملية التغيير الاجتماعي من خلال تحديد عناصره وأبعاده وهذا الإنسان هو الكونية والبيولوجية وعليه فان هذا الإنسان يتكون من معادلتين معادلة بيولوجية وأخرى اجتماعية "[3]، أما المعادلة البيولوجية وهي معادلة قد جسم القران الكريم فيها ونقصد بها الصورة التي خلق بها الله عزوجل الإنسان عليها ولا تبديل لهذا الجانب منذ خلق الإنسان ونشأته إلى نهايته على الأرض، وتتمثل خاصية التكريم التي انفرد بها الإنسان عن بقية المخلوقات الأخرى.

يقول تعالى:

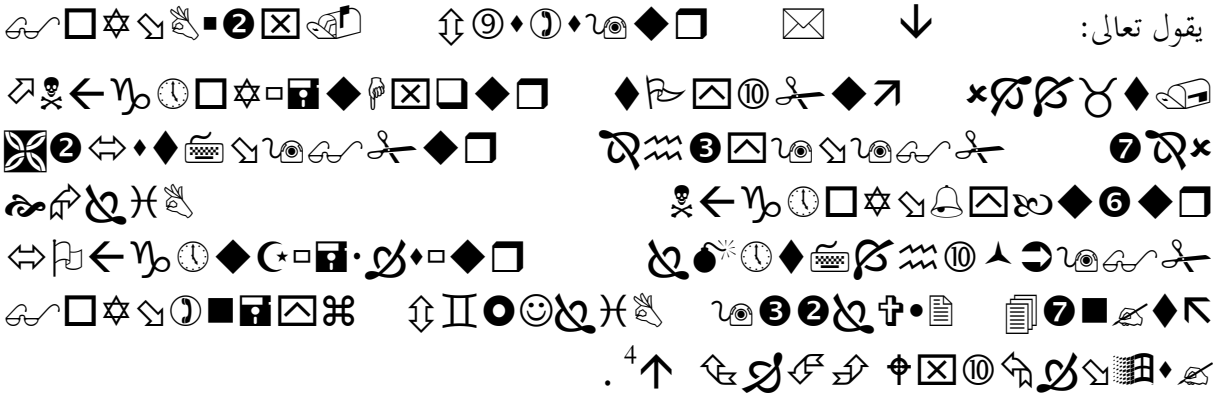

هذا فيما يخص التعريف الذي قدمه مالك ابن نبي للإنسان من الجانب البيولوجي وربطها وكأنها معادلة جسم قدمها القران الكريم، ومن جهة أخرى ننتقل إلى الفكرة الدينية ودورها في البناء الحضاري عند مالك ابن نبي حيث تكشف دراسات الحضارات الإنسانية عن الدور الذي قام به الدين في بناء الحضارة، فقد أصاب دارسوا الحضارات الذين راو انه لم تنبثق حتى الآن أي حضارة من غير أن يجمعها الدين ويوحد مجتمعاتها، "ذلك أن

---

[1] المصدر نفسه، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 73.

[3] بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط (3)، 1987.، ص 91

[4] سورة الإسراء الآية رقم 70.

الدين عنده تمكنه في المجتمع يشكل في ذاته هدفية عليا تحقق الحضارات المختلفة من خلالها جل تطلعاته وتعبر عن حسها في الانجاز والإبداع كما بدت الحالة دائما في المسيرة الإنسانية الحضارية"[1] وعليه بين ضرورة التجربة الدينية للمجتمع البشري والدور الكبير الذي تلعبه السياسة المجتمعات مقارنا بين مصادر المعرفة التي تتبلور في الوحي والعقل مؤكدا المكانة الفوقية للوحي متحدثا عن الأخطاء المنهجية والموضوعية التي يمارسها العقل رافضا خرافة التنجيم وما يرتبط منه من فعاليات لا تقوم على الدين والعقل"[2]

وتاريخ الحضارة يشدنا على أن الإنسان ما فتئ يمد ببصره صوب ما وراء الحقيقة الأرضية وتجاوز الحقائق الملموسة ذلك لان الرؤيتي العقلية الخارقة تمثل نظرة أحادية الجانب لم تحقق للإنسان تطلعاتها صوب الحقيقة الإيمانية، وعلى هذا الأساس "يعتبر "تونبي" من أهم الذين فسروا حركة التاريخ وفق العامل العقائدي فهو يرد الحضارات الى الاديان ولا يعتبر الامبراطوريات مقياس الحضارة على العكس أنها تمثل بداية مرحلة الانهيار الحضارة إذا تلجا الأقلية المسيطرة إلى التوسع حين تفقد مقومات الإبداع وهي لا تحمل سوى سلاحا مؤمنا فعليه فان العقائد الدينية هي التي تسير مجرى التاريخ ومستقبل الحضارة يكون الدين هو سببه وحدوده"[3] .

اضافة إلى هذا فان فقه التغيير عند مالك بن نبي من القران :كريم انطلاقا من الاية القرآنية من قوله تعالى:"

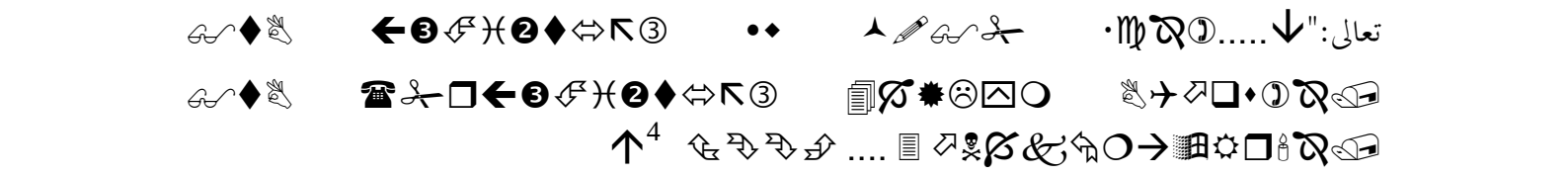

ومن هذا فان بن نبي لم يكن مفصولا عن الثقافة المشرقية بل كان بوده ان يخضع هذه الثقافة المشرقية لمعايير جديدة حتى تدب فيها الحياة: "انه كان يجعل من اية القران امرا حتميا يملي على الفرد سلوكا جديدا ويجذبه إلى حياة العمل فالفكرة القرانية تؤثر في سماعها كأنما بدت الحياة وتجدها فجأة على شفاه الرجل "[5].

وهكذا فان مالك بن نبي أكد على انه لا يمكن تغيير العالم دون تغيير نفسية الإنسان لان نفسية الإنسان ليست مجرد انعكاس لما يحدث في العالم من تغييرات بل هي المحرك للتغيير سلبا وإيجابا، وكل الطرق

---

[1] الأخضر شريط، مشكلة التاريخ عند مالك ابن نبي، جامعة الجزائر، 1985-1986، ص 24.

[2] تشيكو امينة، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارلوند تونبي، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، د (ط)، د (س)، ص 121.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ، نقلا عن سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك ابن نبي، دراسات في ضوء الواقع المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط(1)، 1993، ص 106-107.

[4] سورة الرعد الآية 11

[5] عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط (1)، 2006، ص43.

مسدودة التي إليها الحركات التغييرية في العالم الإسلامي ناجمة عن عدم إدراكها بوضوح لموضوع التغيير. ويعتبر بن نبي تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار القاتلة الأساس الأول لأية نهضة حقيقية لأنها تعيد إلى الإنسان نقاه الأول وفطرته حتى يصبح قادرا على خوض المعترك الحضاري من جديد بحيث يقول ابن نبي" بالنسبة لهؤلاء الناس الذين يبدون الاهتمام بالأصولية في عالمنا الثقافي ينبغي ان نسد منافذ هذا العالم لنحمي أنفسنا من العدوى.

"وعلينا ان نراقب في نظرهم لا بل ان حبس تنفسنا الفكري وان نضع له النهاية في اذهاننا نضع اقنعة واقعية كي نتجنب اية عدوى محتملة."[1]

ان التغيير لكي يتحقق في اي مجتمع يجب انيام أولا داخل النفوس وبذلك يتوفر الشرط الجوهري في ارتفاع المسلم المعاصر إلى مستوى الحضارة وبالتالي يستطيع انقاض نفسه وأنقاض الاخرين، ويكون هذا وفق لشروط معينة. ومن خلال ما عرضناه عن فلسفة التغيير عند بن نبي فان بناء الحضارة الاسلامية يكون شريطة تغيير الانسان ما بنفسه وان يصفيها من الرواسب القديمة وان يسعى إلى ربط تصوره الإسلامي، "فمالك بن نبي تناول قضية اعادة البناء الاجتماعي للإنسان المتخلف وهو يرى هذا البناء في صورة حضارة يتفاعل فيها نشاط الانسان مع وسائله وامكانياته"."[2]فالإسلام في نظر بن نبي هو ملهم لقيمنا على استعداد دور الانسان كما يرى انه لايقدم إلى العالم ككتاب وانما كواقع اجتماعي يهتم بشخصيته في بناء مصير الانسانية" [3]."فلذا احدث ابن نبي ثورة في مجال فقه التغيير تتمثل في ادراكه السليم لموضوع التغيير واسلوبه ولأسباب عجز الحركات التي سبقته عن شحن العزائم وشحن الارادات بالطاقة الازمة لتسمح لها بدخول المعترك الحضاري."[4]

ويرى ايضا ان الجهود التغييرية التربوية التي تتجه إلى الانسان باعتباره مادة التغيير الاساسية ووسيلتها وهدفها، يجب ان تشعره بالمشاكل الحقيقة وتبين له طبيعة علاقتها المتفاعلة البعيدة والقريبة وبان الكلام لا يعني عن العمل شيئ كما يجب ان تعلم اسلوب التفكير المنطقي الذي يمكن له ان يربط الاسباب بالمسببات.[5]

ج –المعادلة الإنسانية في ميزان العقيدة:

[1] بن نبي مالك، مشكلة الافكار في العالم الإسلامي المصدر السابق، ص146.

[2] مسقاوي عمر، مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر، دار الفكر، دمشق سوريا، ط (1)، ص 46

[3] المرجع نفسه، ص47

[4] عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 104

[5] محمد بغداد باي، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، عالم الأفكار د (ط)، د (س)، ص143-144-145.

يؤكد ابن نبي أن الحلول المطروحة للإنسان لا تستورد كما تستورد الحلول المطروحة للطبيعة والمادة، فالظاهرة الإنسانية لها خصوصياتها حيث يقول " مشكلات الإنسان طبيعتها الخاصة فهي تختلف اختلافا كليا عن مشكلات المادة، لا يمكن معه أن نطق عليها دائما حلولا تستقي براهينها من الخارج".

وانطلاقا من خصوصيات التحليل الذي تخضع له الظاهرة الإنسانية التي تتسم بالتغيير والتعقيد وبكونها مشدودة إلى عناصر تاريخية واجتماعية خاصة على عكس المادة يقول ابن نبي: " أن اختبار الإنسان لا يمكن أن يكون من النوع الديناميكي .... ،" أي يجب أن نختبره في حركاته لا سكناته، وإذا اعتبارنا أن التاريخ أنما هو تسجيل لحركات مجتمع معين فأي قطعة منها نحللها نجدها في نهاية التحليل أما الصورة الحقيقة لحالة الفرد بالنسبة لضرورات المجتمع، وأما على الأقل بعض المعلومات عن معادلة الشخصية أي على مدى صلاحيته في العلميات الاجتماعية"[1].

وبلغة علم النفس على حد تعبيره فان " الأنا" ينبغي أن يتكيف طبقا للحلول الفنية التي يحاول أن يطبقها، ومن هنا نجد أن مالك بن نبي أعطى للإنسان قيمتين: قيمته كانسان، وقيمته ككائن اجتماعي، أي قيمة توهب له في طينته الأولى بما وهب الله فيها من تكريم ليس لظروف معينة، ولا لأحد من الناس أن يغير منها شيئا (...) وبقيمة أخرى تعطى له بعمليات اجتماعية معينة(...)، "وبعبارة اخرى ا ن الإنسان يمثل معادلين معادلة تمثل جوهره كانسان صنعه من أتقن من كل شيء صنعه، ومعادلة ثانية تمثل ككائن اجتماعي يصنع المجتمع"[2].

د- **التاريخ وبروز المشكلات الحقيقية في نشوء الضمير الإنساني.**

"مما لا نزاع فيه أن العالم قد خضع لسيطرة أوروبا من الناحية الأخلاقية والسياسية منذ قرنين من الزمن والمشكلات التي لم تستطع السياسة والحرب خلال نصف قرن أن تضع له حلا مؤثرا أما نتج عن هذه السيطرة عن الشؤون الإنسانية فموطن الأزمة موجود في الضمير الأوروبي نفسه في علاقته بالمأساة الإنسانية، فالعنصرية الغربية قد ساهمت بنفسها في هذا التغيير حيث وضعت الإنسانية أمام استحالة جديدة لبلوغ أهدافها فلم يعد من الممكن أن يحكم العالم بمنطق علم حديث يوجه الإنسانية في العصر الذري وبعقلية العصور الوسطى"[3].

"وعلى الرغم من هذا فان نظرة الغرب قد بدأت تلحظ قوى غير أوروبية تقف في ساحة التاريخ فقد برزت المشكلات الحقيقة في الضمير الإنساني وفي حلبة السياسة الدولية حيث ذهب ثلاثة أرباع الإنسانية يطلبون

[1] بن نبي مالك، تأملات، المصدر السابق، ص 181.

[2] المرجع نفسه، ص 161.

[3] بن نبي مالك، فكرة الافريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ،(تر)،عبد الصابور شاهين، دار افكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط (3)، 2001 ص 22

للمرة الأولى منذ قرنين من الزمن بحقهم في الحرية، العمل، الخير"[1]، ولما كانت صلاحية النظام تكمن في الحرية التي يتيحها لكل فرد فان هذه الصلاحية تنتهي منذ اللحظة التي يكون فيها النظام متصورا أو معتبرا على انه وسيلة لنشاط زائدة موضوعة تحت تصرف الكبار لضمان امتيازاتهم أكثر من أن يكون وسيلة لضمان المصالح الحيوية للإنسانية وعلى الأخص حرياتها الأساسية التي عرفت في الإعلام الدولي المشهور"حقوق

الإنسان"[2]، "وإذ كانت عبقرية الغرب قد أنشأت بنفسها احد العناصر التي حتمت الاتجاه المنطلق للتاريخ فلم تدعه يرجع إلى الوراء، فان هذه العبقرية لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها، فلكي تحتمل أعباء هذه القيادة لا بد من سلطة أخلاقية ودفعة روحية مما لا وجود له في هذه العبقرية الصناعية، ومنه يصبح تعبير النجاح الصناعي مقصود به النجاح في كل شيء وحيث ترد المشكلة الإنسانية إلى مبادئ ميكانيكية"[3].

ان إخفاق أمريكا في هذه المشكلة ذات طابع الإنساني والأخلاقي لا يساوي في رؤية شيء سوى نجاحها في المشكلات ذات الطابع الصناعي وإنما مأساة العالم المرتبطة إلى حد ما منذ عشرة سنوات بهذا الإخفاق الأخلاقي والنفسي الذي هو السبب الرئيسي في الشعوب الافرواسيوية إلى البحث عن اتجاه جديد وهو الذي قادها إلى مؤتمر باندونغ"[4]

أن الاستعمار مرحلة من مراحل التطور الإنساني وقد فات أوانها فكل محاولة لإطالتها أو تكرارها تأخذ عودة إلى الماضي وتخلف بفعل التقدم الإنساني المستمر وإذا وجدنا أن بعض الأوساط تحاول تبريره بشتى الاعتبارات الإنسانية أو الاقتصادية، فان هذه الاعتبارات لا تعكس هم التقدم وإنما تحمل طابع العرف والعادات"[5]. أن الإصلاحات السياسية والاقتصادية ذات أهمية قصوى لحل المشكلة الاستعمارية ولكنها تخلف في العالم بقايا من صورة عنصر نفسي فعليه هناك طريق طويل يجب أن نجتازه كي نصل إلى حل يتفق مع مشكلة العلاقات الإنسانية في عالم الكبار.[6] وفي هذه الحقبة الجديدة يجب أن نفهم مركز الشعوب الافرواسيوية في عالم الكبار وعلاقتهم معهم حتى نكون لأنفسنا فكرة ن التطور الذي يستوقدها أخيرا إلى باندونغ كي نفر من الجاذبية التي تهدد بربطها في فك الحرب والواقع أن خطة فولتون قد أحدثت تصفية في العالم، "فبدا الضمير الإنساني

[1] المصدر السابق، ص 23

[2] بن نبي مالك، فكرة الافريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، المصدر السابق، ص 43.

[3] المصدر نفسه ص44

[4] المصدر نفسه، ص 45

[5] المصدر نفسه، ص 26.

[6] المصدر نفسه، ص 53.

يتصل من جديد بالواقع المرير ويأخذ هذا الواقع: اسم الحرب الباردة تظهر فيها فجأة ارتفاعات في درجات الحرارة إذ أن هذه الحرب تدعو إلى إيقاف الشيوعية وبهذا ننتقل إلى الحرب العالمية الثالثة"[1] ومنه ظهر حوار جديد في التاريخ الا وهو قوانين الأخلاقية والسياسية وعليه غاندي برهن على صلاحياتها وتأثيرها.

– "فالحضارة لم يعد محددها شعوبا مستعمرة وفقا للاستعمار بل أنها شعوب انفصلت عن تلك العبودية المزدوجة، شعوب لم تعد ترضى بان تستخدم فقط كقاعدة لتمثال التاريخ بل يريد أبنائها أن يكونوا فنانين وملهمين وفي هذه المرحلة يكون الشعوب أحرار في اختيار طريقهم الخاص بوسائلهم المناسبة واقتناعهم بان اختبارهم هذا يتيح للإنسانية فرصة جديدة للهروب من الحرب"[2].

فنحن إذا في هذه المرحلة من التاريخ حيث يتوقف مصير العالم في نهاية الأمر على الكلمة الأخير في الحوار الناشب بين القوى وعدم التعسف، فإذا كان الصراع قائما بين الكبار من الناحية السياسية فانه ينحصر أخلاقيا بين شقي الضمير الإنساني، ومن الوهم البالغ إلا ان نرى فيه سوى شكل جديد لصراع الجناس، فإذا اتهموا اليوم بالدونغ بأنه نوع من التآمر ضد الحضارة البيضاء فإنهم لم يتعدوا حدود تقاليدهم التالية وان الفكرة مرضية و مسيطرة تلك التي تعدل دائما كلمة الحوار قوة وعدم عنف مقدمة لكلمة جنس كلما قصد مفهوم (الإنسانية) "ولكن الكلمة الأخيرة في هذا الحوار ستقرر مصير العالم ومن هنا نتجه تدريجيا إلى مشكلة الرجل الافرو أسيوي التي كانت مركز اهتمام مالك بن نبي وموضع نظر"[3]

"فالرجل الافرواسيوي يجب ان بغزو ميدان (المواطنة العالمية) في عالم كان بعيش فيه تحت ضغط الاستعمار ولكن في مقابل هذا التنوع لا يصح ان نترك اوروبا تنطوي على محورها او تنسحب من العالم لترفع الانسانية التي لم تعد تسيطر عليها بل يجب ان نبين ان القوة لا تصدر عنها وإنما تصدر عن التطور، وعليها ليتصل وجود الاخرين وتطور عبقريتها مع الاتجاهات الراهنة ومع المصلحة العليا للإنسانية"[4]

[1] المصدر السابق، ص 56.

[2] بن نبي مالك،فكرة الافرقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، مصدر سابق ص 59

[3] المصدر نفسه، ص 76.

[4] المصدر نفسه، ص 270.

الفصل الثالث

قراءة نقدية لفكر مالك بن نبي

– المبحث الاول: مالك ابن نبي بقلم معاصريه

يعد مالك ابن نبي من ابرز الإصلاحيين والمفكرين الذي وهبوا حياتهم للإصلاح بحيث عمل في ميدان الفكر رافضا أن يعمل في مجال الاختصاص، لأنه كان يعي بان بلاده بحاجة إلى مفكر يقف في وجه المستعمر لا إلى مهندس وهذا كان بشهادة مجموعة من معاصرة أمثال فوزي الحسن، عمر مسقاوي، أبو الجندي، عبد العزيز الخالدي "ويقول فيه الأستاذ فوزي الحسن: "مالك إنسان مسلم بكل ما بكلم الإسلام من بعد إيماني وفكي وكان يترجم الإسلام في سلوكه وأقواله وأفعاله، كان يقدس الثورة كفكرة، ويفهمها على أنها إرادة تغيير هادف"[1] .

أ – الدكتور مصطفى السباعي:

"ويقول فيه الدكتور مصطفى السباعي: " الأستاذ مالك جزائر الأصل مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه جهادا يعرف له فضله فيه زعماء حركة التحرير الجزائرية منذ نشوؤها... ويتميز الأستاذ مالك ابن نبي في جمع مؤلفاته في عمق التفكير ومنطقيته وواقعيته وقوت أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها... وقد استطاع الأستاذ مالك بأسلوبه الذي تفرد به وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامي، أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير، وبدا يرى الأستاذ ابن نبي رائد الفكر البعيد النظر القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الله والإسلام"[2].

ب – المحامي عمر مسقاوي:

"يقول فيه المحامي **عمر مسقاوي**: "تنطلق أفكار ابن نبي لا لتوظيف للمجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة"[3].

كما يقول ذلك المحامي **عمر كامل المسقاوي** : "فقد أتاحت له مشاته في الجزائر ان يشهد يوميات الاستعمار تحمل حصيلة مئة عام قبله أو يزيد، وكان ذلك نقطة اتصال همة في فكر الأستاذ مالك تجربة نقلت

[1] اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكر وإصلاحيا، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط (2)، 1986، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

[3] عمر كامل مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر، المرجع السابق، ص 26.

قلمه من صفحة الأرقام كمهندس إلى صفحة الفكر يتعرض لمشكلات الحضارة بدلا من مشكلات الإنتاج الحاضري، لقد وجد نفسه كمثقف جزائري أما ترتيب ضروري لرسالته إمام المجتمع، فلا بد أولا من بناء الإنسان قبل بناء الآلة حتى لا نضع العرب قبل الحصان فنقع في استحالة الوصول إلى الهدف"[1].

ج- الاستاذ محمد مبارك:

يقول فيه عميد كلية الشريعة في جامع دمشق، الأستاذ **محمد مبارك** : "انه عرب مسلم ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء وكان تعمقه الأوروبي سببا في تحرر من نفوذها، ومعرفته لمصادرها ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولا سيما انه مع جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء عميقة الأغوار، كما تدل عليه أثاره ومؤلفاته العديدة التي قرأها ... "لقد تجمعت في قلبه ونفسه، في عاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره، مآسي لؤلئك لملاين من البشر الذي يعشون على ارض الجزائر ضحايا لمدنية القرن العشرين، وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها وغايتها"[2].

د- الاستاذ محمد الميلي:

يقول الأستاذ **محمد الميلي**: " يستخلص ابن نبي في كتاباته ... إن خلاص العالم الإسلامي يتمثل في تطويع تكنيك الغرب لروح الإسلام ... وكان فكر ابن نبي مدعوا لان يلعب دورا معتبرا بعد الاستقلال لكن هذا الدور كان محدودا بفعل عاملين: " الأول هو نظرية عن قابلية الاستعمار الذي استغلها أعدائه ضده عندما جعلها نوعا من التبرير للاستعمار الثاني هو الظرف الخاص الذي عرفته الجزائر بعد عام 1962 والذي تغلبة فيه اغرائات التحديد ... وكذلك اغرائات التقليد للغرب وأنماطه الحياتية مما صرف النظر عن هضم العصارة الحضارة الغربية والاستفادة منها إلى أقصى حد"[3] .

هـ- الدكتور عمار طالبي:

[1] اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكر وإصلاحيا، المرجع السابق، ص 21-22.
[2] المرجع نفسه، ص 22-23.
[3] المرجع نفسه، ص 32.

كما يرى الدكتور **عمار طالبي** وهو احد تلاميذ لمقربين انه اتسم "بفكر حاد وذهن نفاد، يعاني ويفكر، ففكره فكر حي، فعال مركز تغلب عليه الصور العقلية للعصور اللفظية، فيما يتكلم وفيما يكتب يشعر في أعماقه بان له رسالة: وعلى الرغم من الصعاب التي واجهته في حياته الشاقة، فانه لم يزلزل في يوم ولم يشعر بأنه عليه أن يترك رسالته ويلقى عبئها عن كاهله وشخصية شخصية إسلامية ملتزمة بأخلاقية الإسلامية الصافية وهو ذو أصالة وهمة عالية، وأنفة شامخة، عوده لا يلين في سبيل الحق، قلبه لا يخشى فيه لومة لائم ولعل تكوينه الرياضي العلم وسمه بوضوح لا لبس فيه، وذلك في يقيني ما أصل فيه فضائله العلية ورسخ ميزاته الأخلاقية"[1].

كما يقول الدكتور **عمر مسقاوي**:" ابن نبي ومنذ الثلاثينات، وقد استفاق وعيه مع العالم الإسلامي في قبضة الاستعارة استطاع ان يستخرج القواعد الأساسية للنهضة، وان يصبح في هداة السكون الفكر وافتقاد الرؤيتي، داعية إلى المنهج يطوي الشعارات التي أرخت لظلال العقود العشرة من القرن العشرين وعلى سائر المتساويات"[2].

المبحث الثاني: مالك بن نبي في ميزان النقد

[1] شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، سوريا، ط (1) 1986، ص 09-10.

[2] ملك ابن نبي: من اجل التغيير، دار الفكر العربي المعاصر، دمشق سوريا، ط (5) ، 2005.ص 06.

يقول مالك ابن نبي في كتابه شروط النهضة:"الحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات أي الجانب المادي والاقتصادي من الحضارة تتخذ لها اتجاها عاما ولونا شاملا يجعلان تفصيلتها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي وبذوق الجمال الشائعين في هذا المجتمع.

"وبعبارة أدق أنها تكون مرتبطة بالعلاقة الخاصة القائمة بينها. ويمكن أن نصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية هكذا:

مبدأ أخلاقي + ذوق الجمال = اتجاه حضارة"[1]

ومن خلال هذا فان "التجديد الجبري لاتجاه الحضارة يحسب ابن نبي أن ذوق الجمال عامل أساسي في سلامة التوجه الحضاري أو عدمه، وإذا كانت الأخلاق عاملا مؤثرا في توجيه النمط الحضاري لتأثيرها في عالم الأفكار، وعالم الأشخاص وهما من مرتكزات الحضارة التي تحل في المرتبة الأولى إلى ان الأمر يختلف بالنسبة لذوق الجمال، لأن الاتجاه الحضاري ونمط سلوك الإنسان واستخدامه للتراب في عملية البناء، هم الذين يتركون بصماتهم على النواحي الشكلية الجمالية في المجتمع.

إن وضع الجمال في هذا المقام يناقض القناعات الثابتة التي حاول المفكر تثبيتها عاد إياها الأسس لعملية البناء والتحضير، وعن أهمية المظهر وانعكاساته الجزئية أحيانا مع حركات الفرد، إلا أنه نتيجة وليس قاعدة تحكم اتجاه الحضارة مع التخفيف في الوقوف عند الشكل الذي يحاوله فيما بعد، إلا أن التركيز على المظهر بقي عالم تأثير برأيه، حيث يقول:" إذا كانوا يقولون القميص لا يصنع القسيس فإني أرى على العكس من ذلك فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما، لأن اللباس يضفي على صاحبه روحه ومن المشاهد أنه عندما يلبس الشخص لباسا رياضيا فانه يشعر بان روحا رياضية تسري في جسده، ولو كان ضعيف البنية وعندما يلبس لباس العجوز فان اخفي ذلك يظهر في مشيته وفي نفسه ولو كان شابا قويا، انها زلة لا تنسجم مع مفهوم ابن نبي للحضارة، وللبناء الاجتماعي، ولا تتوافق مع سلامة التحليل المنطقي للأمور " إذ أن المعروف أن الروح التي تحكم قناعات الإنسان، والمناخ الذي يؤدي فيه دوره في شبكة العلاقات الاجتماعية، يمكن أن ينعكس أحيانا في مظهره لباسا وحركات."[2].

[1] بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 101.

[2] اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا واصلاحيا، المرجع السابق، ص 156-157.

"ويعود أن نبي لنهوض من كبوته عندما يعبر عن وجهة نظره في موضوع المظهر بقوله: "انه لمن الغباوة أن ننكر اليوم مشكلة الزي المناسب برجال النهضة ونسائها، ولكن نكون أكثر غباوة اذا ما استسلمنا في ذلك إلى التقليد البحت – بلا التفات إلى مقتضيات أحوالنا من حيث دستور الجمال، وضيقنا الاقتصادي والقيام ببعض الواجبات كالصلاة مثلا".

"ومع اقتراحه لهذا الوجه الايجابي لمسألة الزي، يعود من جديد ليهوى في نفس المنزلق، فيعد المظهر كل

شيء في شخصية الإنسان، وبتغييره تغيير النفس، وفي هذا مغالطة، حتى في فهم الجمال نفسه، الذي يرقى مع رقي الحضارة، وفي حالة المظهر الذي يعبر عن حالات البؤس، يكون ذلك تعبيرا عن مجتمع بائس يحتاج لعملية تحضير شاملة باستخدام الأفكار والأشخاص وتحديد الأهداف، وتغيير المظهر لا يمجد شيئا"[1].

وكذلك يقول ابن نبي في كتابه "شروط النهضة: " فالثقافة الغربية قد ورثت ذوق الجمال من التراث اليوناني الروماني، أما الإسلامية فقد ورثت الشغف بالحقيقة من بين ميزات الفكر السامي، فكان رواد الأولى وحملت لوائها زعماء الفن من " فيدياس " phidias" إلى " ميخائيل انجلو michel angelo بينما قادة الأخرى أنبياء من " إبراهيم إلى محمد"، ومن هنا لم يكن من محض الصدفة أو من لغو الحديث.

"أن مؤرخي النهضة الأوروبية يحددونها بأنها رجوع إلى الحضارة الرومانية اليونانية ولقد كان لهذا الاختلاف في الأصول البعيدة للحضارتين اثر فيما ينتجه الفكر في كل واحد منهما"[2].

" لم يوافق ابن نبي في هذه المقارنة فالحضارة الغربية صحيح أن المؤرخين يعودون فيها إلى الإغريقية ولكن ليس "فيدياسس"، "ميخائيل أنجلو" قادتها وابن نبي نفسه سبق وحدد ذلك فأرسطو هو المعلم الأول عندهم وديكارت هو أبو الفلسفة الحديثة، الأمر الآخر هو أن إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يرسلا قادة حضارة العرب وحدهم أو لبعض الشعوب وليس امتدادا لحضارة سامية، وخاصة محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسل بالإسلام عامة للعالمين ووعد الله هو أن يأتي حين من الدهر تسود في الروح القرآنية على كل النظريات والأفكار وذلك لمصلحة الإنسان حيث جاء في قوله تعالى :"

[1] المرجع نفسه، ص 158.

[2] بن نبي مالك، شروط النهضة المصدر السابق، ص 103.

□■❷☒ ❒◆❑ ↗ ⌐ ✂ ⇦ ⑨ ✂ ❑ ❸ ↑ "[1].

حركة فكرة "القابلية وللاستعمار:" ذهنية مالك فجعلته يقع في أخطاء فادحة فحينما رأى في مؤتمر باندونج بصحيح تحرر من القابلية للاستعمار، وبوادر انطلاق لإفريقيا واسيا عدى وراء الفكرة وحلق بها إلى المراتب العليا في الخيال، ثم أنهكها تقليبا وحملها ما لم تقوى على حمله، وقد رأينا تفصيل ذلك عند مناقشتنا لكتاب (الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج).

وقد أدى كل هذا العدو والتحليق إلى خطا فادح هو تصوره أن مؤتمر باندونغ سيولد حضارة جديدة لكن الزمن جاء بعد اقل من 10 سنوات ليؤكد خطأه عندما فشلت دول مؤتمر باندونغ في مجرد عقد اجتماع ثاني لها في الجزائر في تشرين الأول عام 1965 م حيث انفض الاجتماع التحضيري إلى لقاء غير مسمى.

رأى مالك في القاهرة إزالة لبعض ترسبات (القابلية للاستعمار) في إصلاحات مادية (كبناء المصانع وإنشاء المؤسسات، وانتهاج التخطيط فاغشت عيناه عن رؤية الطريق الحضاري الصحيح وانتاى عن الموقف الحقيق به أن يقف كمسلم من حكمة القاهرة يهتم بأمر المسلمين وشؤونهم في فترة 1945م وقع مالك في خطا فكري نتج عن تحريك "القابلية للاستعمار" في ذهنيته فأعطى التراب قيمة زائدة عن حدوده إذ وضع هذه المعادلة: إنسان + تراب + حضارة.

ليس من الشك أن الإنسان هو مقياس الحضارة لأنه أثمن ما في الحياة فصلاح الحضارة وفسادها يقاسان بمدى النفع والأضرار به بمدى الانسجام أو تنافر معه.

لا احد ينكر أن الحضارة الغربية تستغل التراب الآن، أحسن استغلال وتستفيد من الوقت أروع استفادة وقد أعطته نتيجة ذلك ركاما ترابيا ضخما لم تشهده أي حقبة تاريخية سابقة، وفي الوقت نفسه لم يختنق الإنسان في أية حقبة تاريخية سابقة كما اختنق في عصرنا ولم يشق الإنسان في ترابه ووقت كما شق في وقتنا ولم يتأذى الإنسان بمنجزاته كما تأذى إنسان الآلة فاستغلال الإنسان إذا لتراب والوقت لا يعطي بالضرورة حضارة حسب المعادلة. إنسان + وقت + تراب + حضارة = قد يكون إنسان + وقت + تراب = دمار.

– "والوضع الصحيح للمعادلة هو إنسان متوازن = حضارة.

[1] سورة الصف، الاية9

– ولما كان المسلم حتما متوازنا تصبح صورة المعادلة كالآتي: إنسان مسلم = حضارة.

– ولما كان المسلم هو الإنسان الوحيد الذي يمكنه أن يحقق التوازن لذا فإننا نستطيع أن نقلب المعادلة السابقة بالشكل التالي الحضارة فقد الإنسان المسلم"[1].

فنضع معادلة كالأتي: الحضارة = المسلم الملتزم أو المسلم الواعي.

ويرى بن نبي ان الحضارة الإسلامية تقوم على أساس التوازن بين العقل والروح وبين الروح والجسد وبين الدنيا والآخرة فمالك بن نبي يرى التوازن فقط عندما تسيطر الروح على العقل والجسد ثم بعد ذلك لا يوجد توازن وذلك عندما يسيطر العقل على الروح، ثم عندما تسيطر الغرائز حيث تؤدي إلى دمار الحضارة ويؤخذ على مالك بن نبي إسرافه في استخدام المعادلات الرياضية والفلسفية والفكرية والإطلاق على مدنيات العالم بأنها حضارة، فقد تكلم عن الاتحاد السوفياتي الذي كان يمثل في وقته قوى عظمى على انه شكلا لحضارة.

أ– معارضي مالك بن نبي (عبد القادر بوعارفة).

– نقد نظريات بناء الإنسان:

كنت قد شرحت وبينت نظرية بناء الإنسان في كتابي "الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن بني "وخلاصة القول أن نظرية بناء الإنسان تتأسس على جدلية إنسان الروح وإنسان الطين، فمالك بن بني يحاول أن ينتصر لنظرية إنسان الروح على حساب نظرية إنسان الطين العربية وقد استعمل جملة من المرجعيات والمقدمات التي اعتبرها بمثابة القاعدة والبرهان وسنحاول من نقدنا أن ننطلق من قاعدة "الآداب" التي تمثل اللاشعور الجمعي الذي يحتفظ بمكونات أي أمة من الأمم وإذا أراد الباحث أن يطلع على نفسية الأفراد والجماعات فعليه أن يطلع على آدابها وأشكال ثقافتها."[2]

تركزت إشكالية الإنسان عند مالك بن بني على الأدب الروائي في دراسة ميلاد الإنسان وعندما نقرأ رواية ابن طفيل الموسومة "يحي بن يقضان" نلاحظ نفسية الإنسان المثالي المتوجه نحو الحقيقة والكمال وهذا يعني عند ابن طفيل وجود ما سماه ابن بني نقطة الصفر والمتمثلة في غياب الفكرة فالصبي الذي دائب على الوحشية مع الطبيعة سرعان ما تحول من طفل متوحش (L'enfant sauvage) إلى طفل متأنس من خلال موقفا خرج فاموت الضريبة عند ابن طفيل هي نقطة الصفر وعند طفيل صور نفسية الطفل بكل دقة فالقلق والهلع والتوتر

[1] غاري التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقديم، دار القلم بيروت، لبنان، ط (3)، 1977، ص 55.

[2] بوعرفة عبد القادر، مالك بن بني الراهن والمستقبل دراسة نقدية لرسم معالم البناية الجديدة، الملتقى الدولي مالك بن بني واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديد في إطار تظاهر تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان 12، 13، 14 ديسمبر 2011م، ص 09.

النفسي انتابه منذ سقوط الضربة ثم لما بلغ مرحلة اليأس من عودتها إلى الحياة تحررت نفسه من عقدة الخوف ولنتأمل هذه الفقرة " وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى إلى أن أدركها الموت جزع جزعا شديدا وكادت نفسه تفيض أسفا عليها فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة وكذلك ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى شيء منها آفة فكان يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها فترجع إلى ما كانت عليه فلم يأتي إلى شيء من ذلك ولا استطاعة ".[1]

أراد حي أن يعرف علة الموت فاعتمد إلى تشريح الجثة متنقلا من عضو إلى آخر حتى وصل إلى القلب واعتقد أن العلة تكمن فيه الضربي يتجاوز الموقف ويعتبر أن العلة ليست مادية وإنما تتعالى عن المادة وإنما جوهر روحاني لا يدرك بالحسب.

ويظهر من السياق الروائي أن الطفل الإنسان خرج من الفراغ الكوني متجاوزا أشياء كوحدة مادية معتقدا أن كماله كإنسان يكمن في الروح وعالم الأفكار و يتابع حي في مشواره المعرفي فبعد اكتشاف الروح يصل إلى فكرة الخلود وأخيرا فكرة الواحد الخلاق أي الله.

" ولعل بن بني أورد القصة باعتبارها تعاكس حاضر الأمة الإسلامية فالإنسان العربي والمسلم مازال يعيش مرحلة الطفل*، المنتزع بالعالم المادي، [مخلفات حضارة الطين] فيحاول أن يملأ فراغه الكوني بالأشياء معتقدا أن بها يتم الكمال وتحصل السعادة والكينونة."[2]

نلاحظ في المقابل الروائي **دانيال دي فو** يعتبر نقطة الصفر لبطله **ربسونكرزويه** حين وجد نفسه على شاطئ الجزيرة فتملكه الشعور بالعزلة والوحدة فينتابه القلق والتوتر فهو دوما يراقب الأفق لعله يبصر سفينة قادمة ولما بلغ مرحلة اليأس من النجاة عكف على التكيف مع الواقع مبررا أن جل ما ينقصه هو عالم الأشياء فدائب على صناعة الأشياء وكان أكبر هوله صناعة منضدة ولنتأمل الفقرة التالية "لقد أنفقت وقتي كله في ذلك اليوم وفي اليوم التالي في صنع طاولة لنفسي ذلك أنني لم أكن آنذاك سوى عاملا بائسا ولكن الزمن والحاجة جعلا مني فيما بعد صانعا ممتازا"[3]

---

[1] طفيل ابن، يحي، بن يقضان، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط(3)، 1980 ص132-133.

* الطفل مصطلح وظفه ابن بني ليدل على مرحلة تاريخية من الدورة الإنسانية فالإنسان يمر عند ابن بني بثلاث مراحل أساسية تتناسب طردا مع مراحل الحضارة: الطفل، الشاب، الشيخ.

[2] طفيل ابن، حي بن يقضان، المرجع السابق ص133.

[3] بن بني مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (ت.ر) بيام بركة، دار الفكر دمشق ط(1)، 1992 ص20.

ويبدو من خلال العرض الوجيز أن الروايتان تحملان رؤيا فلسفية تتجه نحو بناء الإنسان النموذجي كما نلمس من خلال طرح مالك بن بني للروايتين المتناقضتين مدى تركيز الرجل على أن العامل الأساسي للتحرر من رواسب اللاشعور المرضي يكمن فيما يلي:

1 -الفراغ الكوني نقطة حاسمة ينبغي أن تمر بها الذات معتبرا أنها تمثل نقطة الصفر التي يعقبها مباشرة الميلاد.

2 -العزلة الظرفية عمل إيجابي باعتباره لحظة حاسمة يتم أثناءها مراجعة الذات ويليها اتخاذ القرار.

3 -الفكرة تمثل قيمة الانبثاق الروحي لأن أزمة الإنسان لا تكمن فيما يفتقده من أشياء وإنما فيما ينقصه من أفكار.

4 -"النفس هي القوة الدافعة للتحرر وينبغي أن يبدأ ميلاد الإنسان منها أولا باعتبارها ال سنوان الذي يحوي جميع رواسب الوهن كما هو الحال بالنسبة للإنسان المسلم."[1]

و من خلال هذه النقاط نعود إلى أبعدا الدراسة لبطلي الرواية الإسلامية ونظيرتها العربية يبدو أن مالك بن بني يحاول أن يبرز من خلالهما أسباب ميلاد الإنسان وأسباب انحطاطه مع إعطاء الميكانيزمات الأسا سية لعملية البعث الحضاري وعلى هذا الأساس سجل ما يلي:

- يحاول بن بني أن يسجل انتصارات الشيء وتراجع إنسان الفكرة ومما يلاحظ أن إنسان الشيء يهيمن على جميع الأصعدة وبالتالي يتحك في التاريخ والحضارة معا ولعل السؤال لم انتصر الشيء على الفكرة؟
- يحاول بن بني أن يحلل الظاهرة وفقا لفلسفة التاريخ مركزا على أن التاريخ حركته مبنية أساسا على جدلية الفكرة والشيء فالعالم الإسلامي شهد ميلاد إنسان الفكرة بغار حراء بعد فراغ كوني شهده محمد صلى الله عليه وسلم.

- ونلاحظ أيضا تطور "إنسان الفكرة" بعد مرور قرن من وفاة النبي فشهد ظهور إنسان العقل والقوة يتجلى وجوده العيني في مقولة شهيرة "اذهبي إني سئمت الغمام- فإن خراجك لي".[2*]
- "حاول مالك بن بني أن يربط بناء الإنسان بعالم الأفكار والمثل أولا متخذا من شخصية حي بن يقضان النموذج والباراديغم غير أننا نقول أن مالك بن بني لم يكن واقعيا في طرح مسألة "المسلم الجديد" لأن كانت نتيجة مشواره العودة إلى الجزيرة مع أسال بعد أن فقد الأمل في تغيير الجماعة وسلوك المدنية"[1].

[1] بوعرفة عبد القادر، مالك بن بني الراهن والمستقبل دراسة نقدية لرسم معالم البناية الجديدة، المصدر السابق، ص 10.

[*] مقولة لهارون الرشيد قالها وهو ينظر إلى عمامه تمخر غياب الشتاء وهي مقولة تدل بسبعة الملك والقوة.

1 -إن النزعة المثالية في فكر مالك بن بني دفعته إلى تقديس الفكرة والروح فظن أن المسلم لا يمكن أن يتقدم إلا بالرجوع إلى الفكرة مثل حي بن يقضان تماما لكن نحن نعتقد أن الفكرة والروح تبني فقط النخبة أما الكثرة فيتم تربيتهم بعالم الأشياء والأشخاص.

2 -مادام بن بني وصف قصة حي بن يقضان ليبرهن على مشكلة الإنسان والأفكار في العلم الإسلامي فنذكر بن بني إذ نهاية حي بن يقضان كانت العودة إلى الجزيرة واعتزال البشر بعد أن يئس م ن أصلاحهم رفقة أسال ونحن نقول أن الإيمان بالمقدمات يفرض أيضا التسليم بالنتائج، فالقصة التي جاءت لتدفع المسلم نحو عالم المثل والروح تدعو آخر الأمر إلى الانعزال والتفرد وعليه هي دعوة صريحة للخروج من التاريخ والحضارة.

"ومن خلال ما سبق نعتقد أن نظرية بناء الإنسان لابد أن نعيد تفعيل بعض بنودها وفق التصور التالي".[2]

من وعي الصعوبات إلى خلق الصعوبات، من الفراغ الكوني إلى الاحتواء الكوني، من الحريات الفردية إلى الحريات المنتجة، ومن الديمقراطية الشعبية إلى الديمقراطية النخبوية وهنا نجد مالك بن بني يركز على دور الديمقراطية في بناء الإنسان المستقبلي غير أنه انساق نحو التوفيق التلفيقي حين تحدث عن تصور نظام سياسي قائم على المزاوجة بين الإسلام والديمقراطية، بيد أننا اليوم أكثر وعيا بضرورة التحرر من الديمقراطية الديمغاوجية نحو الديمقراطية النخبوية.

وعليه فإن هذه الورقة غلب عليها الطابع النقدي حيث أراد الدكتور بوعرفة إخراج أعمال بن بني من الدراسة التقريطية والتقديسية إلى الدراسة النقدية والتجاوزية لكنها أسرفت كثيرا في النقد وكانت مثيرة للجدل والاختلاف مع جديتها وقوتها في فتح أفق جديدو لمناقشة التراث الفكري لابن بني.

– نظرية الحضارة عند مالك بن بني ونقد الدكتور بوعرفة:

توقف الدكتور بوعرفة في هذه الورقة عند نظرية الحضارة لابن بني وكانت له ملاحظة رئيسية تعلقت بالمفارقة في طريقة التعامل بين الظاهرة الأساسية والظاهرة الطبيعية معتبرا أن بن بني تعامل مع الظاهرة الأساسية بمنطق الظاهرة وحسب قوله أن مالك بن بني أخطأ حين تعامل مع الظاهرة الأساسية مثلما يتعامل الفيزيائي مع الظاهرة الطبيعية، فالظاهرة الإنسانية غنية عن الإمساك الكمي والترتيب الميكانيكي فليس من السهل وضع مجموعة من العناصر ضمن علاقة رياضية حتى تكون النتائج مترتبة عن المقدمات فالظاهرة الأساسية محكومة

[1] بوعرفة عبد القادر، مالك بن نبي الراهن والمستقبل، دراسة نقدية لرسم معالم البنابية الجديدة، المصدر السابق، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

باللاقانون أصلا والقانون الوحيد الذي تخضع له هو قانون الكون الكبير ونحن لا ننكر أو نقلل من فاعلية تلك المعادلات العامة التي قدمها ابن بني ولكننا نقول أنها تأتي من سياق إجرائي فقط ولا نعتبرها قانونا كونيا والذي أثار هذه الملاحظة أن ابن بني تعمد في جميع المرات التي تحدث فيها عن الحضارة الإنسان والتراب والوقت استعان في طريقة شرحها والبرهنة عنها بما أسماه مسلك الكيميائي طريقته في التحليل.

وكان يقصد من هذه الطريقة إعطاء النظرية صفة اليقين وهي الصفة الملازمة للظاهرة الطبيعية والمقصودة من الظاهرة الاجتماعية ويتأكد ذلك من أن ابن بني كان ينظر لنظريته على أنها تمثل معادلة نهائية.

" من جانب آخر إن بن بني عند حديثه عن نظريته كان ملتفتا إلى طبيعة المفارقات الفاصلة ما بين الظاهرتين الطبيعية والأساسية ويظهر ذلك في كتابه "تأملات"، ولكن المعادلة التي كتبها في صورتها الأخيرة لا تتفق مع واقع التاريخ، لأن العملية لا تنتج تلقائيا كلما اجتمع الإنسان والتراب والوقت، إذ نرى في تاريخ الشعب لم يدخل في عملية التحضر بل خرج منها في ظروف معينة يقع فيها الا فولى، إن المعادلة التي انتهينا إليها ليست صحيحة إلا بشروط بينها التاريخ لأنه هو مختبر التجارب والعمليات الاجتماعية."[1]

– دراسة نقدية لمرجعيات مالك ابن بني الفكرية ولنظرياته المتنوعة:

لابد لنا أن نعرف منذ البداية أن الدراسة أن الدراسة ليست قراءة تفسيرية لفكر مالك ابن بني بل هي دراسة نقدية لمرجعياته الفكرية ولنظرياته المتنوعة التي تخص على العموم موضوع الإنسان والحضارة وبالتالي المقترح اخترنا أن يكون حول الحضارة ومكر التاريخ لما للموضوع من علاقة وطيدة بفلسفة التاريخ.

إن أزمة الإنسان العربي المعاصر ينبغي أن تعطى لها الأولوية التامة والهامة من خلال وضع الأعمال الفكرية بمنأى عن الأيدي الأيديولوجية الظرفية الخانقة والمترعة بالشك والحقد والذرية الفكرية القاتلة التي لم تزد الأزمة إلا اتساعا والانحطاط إلا تبرجا، فنحن لا نريد أن يدرس الإنسان، مفككا ضمن حركة الحضارة ومكر التاريخ بل ينبغي أن تكون الدراسة شاملة لكل مناحي الحياة والوجود.

وتكمن المفارقة في الفكر العربي المعاصر على الخصوص والإسلامي على العموم عندما يعتمد البعض إلى دراسة العقل فقط والبعض الآخر القلب والإيمان وطرف ثالث اليد والإنتاج ... فهذا يعني أن العقل لا يزال تحت نير المكر والوهم لأن العقل المتحرر من مكر التاريخ هو الذي يلج ويلح على ضرورة دراسة الإنسان كوحدة متكاملة شاعرة بوجودها في إبعاد التاريخ وأن الفكر العربي أصبح سيد التاريخ والحضارة عندما استطاع أن يمكر فوق مكر التاريخ.

[1] د.بوعرفة عبد القادر، نظرية الحضارة عند مالك ابن بني، almild@almilad.org، 03 أفريل 2018 سا 12:35

إن الفكر البنا بي لابد أن يدرس بمعزل عن الذهنيات والصراعات الوهمية والغاية تأسيس فكر جزائري أصيل مرتبط بذاكرته التراثية ارتباطا شعوريا ووظيفيا ولابد في عملية الولوج الحضاري الجديد أن نصحح المفاهيم عن الفكر والعقل عن الدين ولابد في عملية والفلسفة وعن الهوية والتاريخ لأن أزمتنا الحقيقية أزمة مفاهيم وفعل وعليه فإن نقد العقل غير كاف لتجديد الإنسان بل نحتاج في الوقت نفسه إلى نقد الفعل.

نلاحظ أن الفكرة البنائية اتجهت نحو الفكرة المطابقة التي تتميز بالانسجام التام بين الذات والموضوع ومطابقة العقل للفعل وملائمة المقال للمقام.

" إن الفكر العربي انساق عموما وراء الفكرة العارضة ثم الكاذبة منتهيا عند المتسلطة وبالتالي فإن الأزمة سيطال عمرها ما لم نخرج من اسر الدوغماتية ونحطم أصنام العقل الجديدة ولكي نتجاوز أمراض الحضارة لابد أن نستعين بالفلسفة الواقعية المرتبطة بحروف الحكمة العملية والبعد النقدي الإحيائي المتحرر من متهاة الميتافيزيقا إذن فنحن هنا بحاجة إلى ما أسماه أوغنست كونت بالفلسفة العامة لأنها تتعقب المسائل العامة والمعاشة كمسائل النفس، المعرفة، التاريخ المنطق، الأخلاق، الجمال ....الخ"[1]

إن مالك بن بني يمثل حلقة وصل بين جيل صنع الجهاد الشعبي وثورة التحرير وبين جيل يحمل تحديات المستقبل ويستعد لخوض دوره الحضاري في القرن القادم إن جهود التنمية في البلاد العربية تصطدم دوما بالعوائق المتمثلة التي تفرزها الأمراض الصبيانية الموروثة لهذا فالدكتور بوعرفة في هاته الدراسة النقدية يؤمن أن العمل الحقيقي يكمن في تحرير الإنسان من تلك الأمراض النفسية فالتغير وفقا للمبدأ القرآني يبدأ من النفس قبل كل شيء.

إن مالك بن بني لم يكن مفكرا شعوبيا أمثال علماء الدين والأئمة الذين شغلوا الناس وسدوا الأفق لكن رغم نخوبيته نعتبره أكثر فعالية وديناميكية من أولائك الذين حركوا الأ جساد البشرية في مظاهرات حاشدة لكنهم لم يحركوا عقولهم ولم يهزموا أنفاسهم بل الأدهى في الأمر أضافوا إلى أمراضنا التعصب والتطرف.

إن وجودنا مرتبط بمدى تفكيرنا فعلى قدر ما نفكر على قدر ما نكون، وسنحاول أن نكون مدرسة بنابية مع المثقفين الخيريين من أبناء العالم الإسلامي ليس من أجل أن تريد ما قاله بن بني في القرن العشرين ولكن من أجل البحث والاستشراف والعمل وفق روح مالك لا وفق منهجه لأن الإبداع الحضاري يتطلب من الأجيال التواصل كشرط للتمدن لكن تتطلب أيضا التحرر من السلف.

[1] د.بوعرفة عبد القادر، تبر الخواطر من كتاب الحضارة ومكر التاريخ،bourabah blogdpot.Com، 03 أفريل 2018- 14:22

" وإذا كان لكل جيل نوع من الكوجيتو الذي يحدد معالم هويته في لحظة ممارسة التعبد الحضاري في هيكل الخلافة الربانية فإن الكوجيتو الذي تمثله في لحظة التدافع الإنساني هو "أنا أشهد إذن أنا موجود". [1]

– نقد منهج مالك بن بني:

استعمل مالك بن بني زمرة من المناهج العالمية المعروفة والمشهورة ولم يبدع منهجا خاصا به بل جل ما فعله محاولة التركيب بين قواعد بعض المناهج الأكثر شهرة ضمن منهج واحد .

اتصف بن بني بقدرته على احتواء الفكر الموازي مما جعله الأفكار والوثائق التي تخدم قضيته العامة وحتى يخرج من دائرة القرصنة الفكرية حاول أن يعتمد إلى التركيبلكي يخرج في آخر الأمر جملة من النظريات تناسق إجمالي منطقي.

بن بني يستعمل ضمن المنهج الواحد عدة قواعد حيث قواعد . خاصة قاعدة البداهة والوضوح مع حركات المنهج الماركسي الثلاث يتم تشريعها بقواعد المدرسة الظاهرية خاصة قاعدتي القصدية الأيبوخية عما يحاول أن يسيجهما بأطر استمية بشلازية خاصة بمفهوم القطيعة.

- التحرر من النزاعات اللامنطوقة في فكر مالك بن بني ونقصد أن مالك بن بني وظف عدة مدارس بصورة مباشرة أو غير مباشرة وجاء ذلك التوظيف أحيانا مضرا بالبنية النظرية أو التهور لعدم إمكانية جمع المتناقصات ضمن فضاء واحد وعلى سبيل المثال نلاحظ توظيفه للوضعية البرغمانية الأحيائية الحدسانية الثيموسية النيتشوبية في حين أن السياق البنيوي لكل نظرية يتجه صوب الرؤية الخاصة.
- "التحرر من الفكر الموسوعي والتوجه نحو الفكر المتخصص في البناية الجديدة لابد أن تتأسس على منطق الخلايا لا على منطق الفرد. فالفكر القديم عموما تميز بالفكر الموسوعي فقلما نجد مفكرا حصر نفسه في إطار ضيق أو حصر نفسه في تخصص معين بل نجده على العكس تماما يعرف من كل علم. " [2]

– نقد المفاهيم:

المفهوم هو الإنسان ذاته وليس كما قال جيل دولوز هو صديقه "إن الفيلسوف صديق المفهوم إنه بالقوة مفهوم" فالمفهوم حين ينحته المفكر يدل على ذاته ويعبر عن مكوناته ويغدو كالمرأة التي تعكس ماهيته وصناعة المفاهيم تعبر أيضا على طبيعة التفكير والتأمل وعلاقة المفكر مع مواضيع المعرفة والآخر.

[1] بوعرفة عبد القادر ، تبر الخواطر من كتاب الحضارة ومكر التاريخ، bourabah blogdpot.Com، 03 أفريل 2018- 14:44

[2] بوعرفة عبد القادر، مالك بن بني الراهن والمستقبل دراسة نقدية لرسم معالم البناية الجديدة، bourabah blogdpot.Com، 03 أفريل 2018- 15:22

ويعتبر المفهوم من جهة أخرى هو جوهر النظرية والفكرة فكلما كانت المفاهيم قوية ومؤثرة كانت النظرية والفكرة كذلك ويجدر بنا كذلك توضيح خطورة المفهوم فهو يحمل في ذاتها الهدم كما يحمل آلة البناء ويحمل الإيجاب كما يحمل السلب أكبر من مفعولها الإيجابي، ونعتقد أكثر كيانات نظرية سفرا وترحلا هي المفاهيم وكثيرا من الفلاسفة لم يكتب النجاح في نظرياتهم لكن كتب النجاح لمفاهيمهم ومصطلحهم كأفلاطون ونبشن مثلا.

ومن خلال ما سبق فإن مالك بن بني عنا بالمفاهيم عناية فائقة بل ذهب أبعد من ذلك حين وضع مبحثا خاصا يوضح فيه آلية إبداع وضبط المفاهيم مع العلم أنه حذر من استعمال المفاهيم والمصطلحات التي تفرزها المعامل الاستعمارية يقول مالك بن بني موضحا كيفية إنتاج المفاهيم "إن لكلت العمليتين وجوها متماثلة فتحقيق الشيء يتم بواسطة الإدراك الشعوري ثم يترجم إلى (اسم) وتحقيق الواقع الاجتماعي يتم بواسطة التصنيف ثم يرجع إلى مفهوم. وكتجاوز لأفكار اللحظة البنائية نعتقد أن القراءة النقدية لمالك ابن بني تكشف عن أرمده من المصطلحات والمفاهيم التي استعملها لحظتها للتعبير عن ما هو حادث أو كائن ولتجعل من جهة أخرى أكثر التصاقا بواقعه بيد أن تلك المفاهيم مثل العالم الثالث، عدم الانحياز.

ب– مناصرين مالك بن نبي:

الدكتور جيلالي بوبكر : إن التقدم الذي يحققه الإنسان من خلال العمل في حياته الفردية والاجتماعية بشكل ظاهرة إنسانية متميزة وفريدة من نوعها منها تتشكل الحضارة، وبها يقوم بناء الاجتماعي ويتعكر التاريخ، فتنهض الأمة وترقي وفي سلم التجديد الحضاري، وكل تغير وتحول وتجديد في الفكر والسلوك وفي نمط العيش وفي وسائل العمل واساليب وفي غير ذلك من جوانب حياة الانسان يعد من روح التحضر ومن صميم الحضارة، ويعرف بالتجديد الحضاري الذي هو وراء أي حضارة وأساس كل تقدم.

وظاهرة التجديد الحضاري ترتبط سببا وحتميا بكل فعالية إنسانية تستهدف بناء الإنسان ذاتيا واجتماعيا وتاريخيا، وترتكز على آية انطلاقة نحو بناء التاريخ والتقدم وصنع الحضارة فهي وراء كل نهضة او صحوة بعد غفلة و ضياع.

إن ظاهرة التجديد الحضاري ليست هبة من الطبيعة وليست وحيا يوحى من السماء بل تنتج من الكد والجد والاجتهاد والمبادرة ينهض بها مناضلون يحددون إيمان راسخة بعظمة الرسالة وتشدهم عزيمة قوية وتقوي فيهم روح المسؤولية فيكرسون حياتهم للرسالة الحضارية بعيدا عن اليأس والتردد ومن دون تراجع على الرغم ما تنطوي عليه هذه المسؤولية وهذه الأمانة من مصاعب وما تسببه من مخاطر وما ينتج عنها من معاناة فكان هؤلاء

رواد نهضة وقادة فكر وصناع تاريخ وأصحاب كلمة وعمل، والفكرة الصحيحة درة وجوهرة تنال التضحية والفداء في سبيلها وتحمل كل الصعاب والتحديات لأجلها.

ان شهادة التاريخ تؤكد ان الانفجار الحضاري في أي عصر موصول نسببا وحتميا بأناس مناضلين كل في موقعه داعينا إلى التجديد الحضاري وهذا الأخير ينبغي أن يقع في الإنسان ذاته يحدث في أعماق نفسه، يجري بعد ذلك في المحيط الخارجي الاجتماعي والطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان، ذلك ما عرفته كافة الحضارات الشرقية القديمة والحضارة اليونانية والإسلامية والأوروبية.

"ولما كان التجديد الحضاري شرط البناء الحضاري وأساس إستراتيجية ومحرك التاريخ فهذا البناء ينطلق بعناصر وشروط ولوازم ويمر بأطوار تواجهه مشكلات ويحصد منتجات في بيئة لا تخلو من النقص والضعف في جميع مجالات الحياة".[1]

وفي كل الحالات يتطلب الأمر بذل الوسع والتفاني في العمل والمزيد من ذلك في المجال الروحي والفكري والثقافي والعلمي من جهة والمجال العملي التطبيقي والتكنولوجي من جهة أخرى، اذا لفعل التغيير الذي ينهض به مالك بن نبي وزعماء حركة الفعل الإصلاحي وحركة التجديد لا ينطلق من العدم والفراغ بل له أسباب هـ وانعكاساته.

يكاد يتفق الناقدون والدارسون والنقاد من داخل الأمة العربية والإسلامية ومن خارجها في عصرنا على غياب رؤية فلسفية نقدية جزئية وجادة ووجيهة للواقع والتاريخ في الحياة عامة في العالم العربي والإسلامي المعاصر لدى زعماء الإصلاح ودعاة التجديد وانعدام نسق فكري متكامل يتناول قضية الحضارة ومسالة التاريخ والرؤية القائمة عاجزة تماما عن إدراك سنن قواعد التغيير ومن الإلمام بشروط ولوازم النهضة الحضارية والبناء التاريخي ويتعلق الأمر بدواعي التجديد وصنع الإبداع وإيجاد التطور والتقدم على مستوى الفكر والعمل.

فليس بحوزة الفكر العربي الاسلامي الحديث والمعاصر" فلسفة حضارة" او " فلسفة تاريخ" فلسفة تسمح ب التخلص من الانحطاط والتخلف وتهدى إلى سبيل التحضر والتطور والازدهار، فكل حضارة من الحضارات التي عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل لها أسس وأصول فلسفية وفكرية تاريخية تأسست عليها تعكس تلك

[1] د، جيلالي بوبكر، مالك بن نبي شاهد على العصر، Ali jazair lyoum.com 18 :30/h,22/05/2018

الأسس وأصول فلسفية الحضارة وفلسفة التاريخ باعتبارها الإطار الفكري التاريخي النظري المرجعي الذي تحتاجه اية نهضة ويحتاجه كل تغيير وتقدم.

وهنا نتساءل لماذا مالك بن نبي مفكرا متميزا، اهتم بقضية النهضة ودرس موضوع الحضارة؟

-"ركز بالدرجة الأولى على البحث في شروط النهضة ودواعي التحضر وعمل على كشف وحصر أسباب التخلف والانحطاط وعلى تحديد عوامل التراجع والانحطاط وقدم نظرية في الحضارة والإستراتيجية في البناء الحضاري وفي تغيير التاريخ تختلف عن تلك التي جاء بها مفكرين غربيون محدثون ومعاصرون أمثال" ارلوند توينبي" و" اوزولد سبنجلر" و" فوكو" و غيرهم."[1]

شغلت" مالك بن نبي" قضية الحضارة فأدرك تماما أن مشكلة أي شعب في أصلها وفي جوهرها مشكلة حضارية ولما كان العالم العربي والإسلامي يعيش حالة التخلف والانحطاط والانحلال والانعزال والاستعمار بمختلف أشكاله عاش هو لامته الإسلامية ولفكره ونظريته التي تؤمن بان العالم العربي المعاصر يمتلك من الطاقات والإمكانيات الروحية والمادية ما يدفع به فعلا إلى الإسهام الحقيقي في حل مشكلاته وهي مشكلة حضارة لا غير وما يؤهله لبلوغ التحضر والرقي وما يسمح بالمساهمة الفعالة والحقيقة في مسايرة الركب الحضاري المعاصر في تطوير العالم .

إن التخلف الفكري والديني والثقافي والانحطاط الاجتماعي والسياسي والاستعمار والقابلية للاستعمار كل هذه أوضاع وظروف تسقط من الوجود إذا تمسكت الأمة الإسلامية بالقاعدة القرآنية التي تدعوا إلى التغيير والتجديد والتحول على مستوى الذات الإنسانية وفي داخل أعماقه.

ان خطة " **مالك بن نبي** " وإستراتيجيته في البناء الحضاري وأسلوبه في الاصلا ح والتجديد يعكس فكره وفلسفته في الحضارة والتاريخ كما يجد فيها الوسائل والسبل الكفيلة بالانتقال من عالم التخلف إلى عالم التحضر.

إن الإشكالية التي نعالجها تدور حول ما تتميز به هذه الإستراتيجية عن غيرها من المحاولات الفكرية والمبادرات الفلسفية التي سبقتها، او تلك التي عاصرتها ومحاولة مالك بن نبي أفرزتها ظروف تاريخية فكرية سياسية واجتماعية عرفها العالم العربي والإسلامي الحديث المعاصر وشهدتها المحاولات الاصلاحية الاخرى لكنها لم تكن في مستوى محاولة **مالك بن نبي**.

[1] جيلالي بوبكر، مالك بن نبي شاهد على العصر،مجلدة دراسسات انسانية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2015، ص 09.

يعد **مالك بن نبي** ممن تأملوا ودرسوا وانتقدوا تاريخ الأمة العربية والإسلامية وأوضاعها الحديثة والمعاصرة وجددوا أمر فكرها وفلسفتها بما دعا إليه من تجديد للتطور الإسلامي دينيا وفكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، اقترن اسمه بالحضارة وبمشكلاتها وبنظرية الحضارة وإستراتيجية البناء الحضاري أسهم في فلسفة الحضارة وفي فلسفة التاريخ وفي العلوم الإنسانية المعاصرة برمتها ومنطلقة في ذلك الدين والفكرة الدينية[1].

جعل" **مالك بن نبي** " العقل الطاقة البشرية الكامنة المتحركة والمتحررة والمنتجة في عالم الأفكار وفي عالم الأشياء وفي عالم الثقافة وفي عالم الحضارة وهي طاقة متفجرة باستمرار ودوما بالمفهوم والإبداعات والعطاءا ت وهو ما انتهى إليه أصحاب كل حضارة من الحضارات التي عرفها تاريخ الإنسانية[2].

"تعكس فلسفة **مالك بن نبي** في تعاطيها مع الدنيا والثقافة والعلم والسياسة والتاريخ والحضارة عامة تفتح عقل عربي إسلامي معاصر على هموم ومشكلات عصره وعلى قضايا الحضارة والأصالة والمعاصرة والثبات والتغير وهي مشكلة الأمة وقضايا الإنسانية جمعاء".[3]

لقد انتبه **مالك بن نبي** إلى المشكلات التي يعاني منها الإنسان في عصره ولاحظ ان المشكلة الكبيرة في حياة الإنسان هي مشكلة حضارية فدعا إلى الحضارة لمعرفة شروط قيامها وعوامل انهيارها وقام بهذه المهمة الشاقة فكتب على دراسة التاريخ الإنساني بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص كما درس واقع الشعوب والأمم المعاصرة المتحضرة والمتخلفة.

إن العمل الذي قام به **مالك بن نبي** في حقل البحث تميز بطابعه العلمي من جهة وبطابعه الفلسفي من جهة أخرى فهو استطاع ان يضع نظرية في الحضارة ويقدم التجديد الحضاري في إستراتيجية لم يعرفها احد من قبله، إن نظرية في الحضارة تمثل إبداعا فكريا وفلسفيا وعلميا لا نظير له في عصرنا بما تميزت به هذه النظرية من دقة في طرح المشكلات وحصرها وعمق في التحليل وموضوعية في التصورات والتغيرات وتنوع في المناهج والأساليب فجاءت نظريته فلسفية وعلمية أخذت من الفلسفة القدرة على المشكلة والتحكم في التصورات والمفاهيم والقدرة على الاستشهاد والتبرير النتائج أخذت من العالم الدقة في الطرح والموضوعية في التحليل وانتهاج مختلف مناهج البحث العلمي وتميزت بحوثه بالنزاهة فلم يكن يطلب سوى الحقيقة لذاتها، **مالك بن نبي** فيلسوفا

[1] المرجع السابق، ص 12.
[2] المرجع السابق، ص 04.
[3] المرجع نفسه، ص 06.

ومصلحا مبدعا لقد قال فيه الأستاذ "راشد الغنوشي" مالك بن نبي مدرسة في الفكر الإسلامي الحديث لم ينصب فكره على النص الإسلامي على مناط تطبيقية على المجتمع من اجل إعادة بناء الحقيقة الموضوعية في نظر العقل المسلم بالكشف عن سنن البناء الحضاري وتطوره في اتجاه القوة والضعف...[1]

-عبد اللطيف عبادة:

الواقع أن الفكر السياسي الحديث في العالم الإسلامي هو في ذاته عنصر متنافر، فهو اقتباسا لا يتفقد حالة ذلك العالم والمسلمون في هذا الميدان أو في غيره من الميادين لم ينقبوا عن وسائل لنهضتهم، بل اكتفوا بحاجات قلدوا فيها غيرهم، وأشكال جوفاء إلا من الهواء بينما ليست حاجاتنا أن نجمع العناصر لنكون منها تلفيفا وإنما أن توحد بواسطة منهج يقوم على تحليل العناصر الأساسية التي تسهم في خلق تركيب حضاري قائم على الإنسان والتراب والزمن.

كما صب جام غضبه على بعض المصلحين الذين كانوا يتجادلون لا للبحث عن حقائق وإنما عن براهين ولم يكن المجادل يسمع إلى محدثه بل كان يغرقه في طوفان من الكلام والجدل المضر كما هو معلوم بكيان الأمة إذ هو يقوم على هيام أحمق بالكلمات والغرام بالألفاظ.

"هذه الكلمات التي لها وقع وجاذبية لا تقاوم على عقل ما بعد الموحدين والتي يؤدي الولع بها إلى فقدان الإنسان حاسة تقدير الأمور على وجهها الصحيح وهو أمر لازم لكل جهد إيجابي من أجل البناء"[2].

إن الفكر العربي لم يعرف بعد معنى الفاعلية ذلك لأن استبداد الألفاظ والصيغ به يخلع على أي تفسير للنهضة طابعا سطحيا بالإضافة إلى كون الحركة الإصلاحية لم تستطع أن تترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين.

فهذا التهكم السقراطي وهذا النقد اللاذع وهذا الهجوم الكاسح لا يفقد ابن نبي فصاحة عقله وفاعليته وبعد نظره.

---

[1] برغوث الطيب، موقع المسالة الثقافية وإستراتيجية التجديد الحضاري، 19.15, 22/05/2018,Ali jazair lyoum.com

[2] عبادة عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن بنى، دار الشهاب للطباعة والشعر، باتنة، الجزائر،ط (1)،1404هـ/1984م ص124.

بل كل ذلك لم يمنعه من بيان حسنات الاتجاه الإصلاحي المتمثلة في تحطيم التعادل الخامد الذي استقر عليه عصر ما بعد الموحدين "وقد اتجه بصفة خاصة إلى الذكاء وإلى تكوين متخصصين بارعين أكثر مما اتجه إلى خلق دعاة مخلصين وسيتثنى من هذه النقيصة الإمام عبد الحميد بن باديس الذي يقول عنه "ولقد شدت عن هذه الوتيرة حركة الإصلاح في الجزائر بفضل تلك الشخصية العظيمة، شخصية الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو الرجل الذي قدر لإشعاعه أن يبلغ أعماق الضمير الشعبي"[1].

إذ كان الحكم قاسيا فهو حكم عالم ولكن نقد العلماء هو دائما نقد بناء يأتي بالحلول الناجحة للمشكلة.

"لا نعود للحل الحضاري الذي ذكرناه في مكانه من هذا الكتاب ورأينا أن الحضارة لا يكتب لها الميلاد إلا إذا توفرت لدى المجتمع الإسلامي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تنتج له أن يقدم لكل فرد من أفراده وفي كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه."[2]

موقف الدكتور عبادة عبد اللطيف من الحل الاقتصادي الذي اقترحه علينا مالك بن بنى:

لا نرجع للحل الاقتصادي الذي اقترحه علينا **مالك بن بنى** والمتمثل في توجيه العمل وتوجيه رأس المال وإصلاح التراب وإعطائه قيمة أكثر للزمن وانتقال الفرد من المرحلة البنايية إلى الوضع الإيجابي الفعال وتغليب كفة الواجبات على كفة الحقوق.

ولسنا بحاجة إلى أن نكرر إلحاحنا معه على ضرورة الإبداع حتى لا يهتم بتراثنا أجانب مستشرقون وغيرهم، ولا نشيد بما وصل إليه من نتائج علمية في تحليل ظاهرة الصراع الفكري الخطيرة أكثر مما سبق لنا أن أشدنا من قبل.

ولكن نكرر ما قلناه عن فكر ابن بنى السياسي والأخلاقي المبدع كل ذلك قلناه مرارا وتكرارا خلال بحثنا ولسنا بحاجة لتوكيده أو تلخيصه أو رفع أي لبس عنه غير أنه يجدر بنا أن نؤكد حقيقة جديرة بالملاحظة يؤمن بها

[1] المرجع السابق، ص125.

[2] المرجع نفسه، ص125.

مالك بن بنى إيمانا راسخا، هذه الحقيقة نابعة من فلسفة التاريخ الضمنية التي يدافع عنها مالك بن بنى وهي فلسفة تاريخ أصلية لا شرقية ولا غربية بل هي فلسفة تاريخ نابغة من القرآن والسنة.

"وهي نابعة من كون المجتمع الإسلامي الأول لم يتأسس على عاطفة مجردة أو شعور ساذج بل قام على عمل جوهري هو "المؤاخاة" بين الأنصار والمهاجرين، وكان ذلك ميثاقا لتلك الحركة ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام فيلسوفا أو عالم كلام بل كان نبيا مرسلا دعا الناس إلى السلام ليجعلوا عنهم سدول التاريخ وما كان له من نظرية يرجع إليها سوى القرآن الكريم نفسه، ولكن القرآن الذي يحرك الحياة"[1].

ويتفق الأستاذ ويتفق الأستاذ **مالك بن بنى** مع ابن تيمية في كون العقيدة عندما خدمت في النفوس وفقدت فاعليتها عما كانت لدى المسلمين الأوائل، ظهر الضعف في الأمة إذ تحولت العقيدة الراسخة من قوة محركة ناجمة عن اقتناع عقلي ويقين قلبي إلى مجرد أفكار جدلية تتطاول إلى الحديث عن الذات الإلهية وفقدت القلوب الهيبة، ولما تضاءلت العقيدة في النفوس وأصابها الوهن وتحولت إلى مناقشات وجدل كلامي وفلسفي وظهر النفاق والبدع والفجور، هان المسلمون على أعدائهم.

"فكيف تحدث النهضة من جديد؟"[2]

يؤمن الأستاذ **مالك بن بنى** بما آمنت به الحركة الإصلاحية بأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها وهذا هو المعنى الحقيقي للسلفية الذي يلخص لنا الدكتور مصطفى حلمي خصائصها فيما يمكن إجماله فيما يلي:

1 - إذا كان المسلمون يبحثون اليوم عن طريق للنهوض بمجتمعاتهم فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إلا الإسلام الصحيح والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة وهذه خلاصة الاتجاه السلفي، عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.
2 - تقديم الشرع على العقل: إتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير وإخضاع العقل للنص.
3 - رفض التأويل الكلامي: عدم معارضة النصوص بالمعقول لأن معرفة أي جانب من الدين لا تتم إلا بالنظر فيما قاله الله ورسوله فمنه نتعلم وبه نتكلم وفيه ننظر ونتفكر وبه نستدل.

[1] المرجع السابق، ص127.
[2] المرجع نفسه، ص127.

4 - الاستدلال بالآيات القرآنية: الاكتفاء بالقرآن الكريم إلى جانب السنة في اتخاذه دليلا هاديا في كافة أمورنا بتلاوته وحفظه والاعتكاف على تفسيره وتنفيذ أحكامه واستنباط قواعد النظر العقلي من آياته واستمداد حقائق عالم الغيب منه.

لذلك يرجع بنا **مالك بن بنى** إلى السلفية إلى عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين أولا ثم إلى عهد ابن تيمية هذا الشخص الذي لم يكن عالما كسائر الشيوخ، ولا متصوفا كالغزالي ولكن كان مجاهدا يدعو إلى التجديد الروحي والاجتماعي في العالم الإسلامي.

ومن خلال فلسفة التاريخ الأصلية هذه ومن خلال هذه النظرة المتصفة إلى السلفية، يرى **مالك بن بنى** أننا إذا كنا نريد للفكرة القرآنية أن تصبح أداة تجدد لأداة تجدد، فعلينا أن نجعلها تمس مباشرة ضمير انسان ما بعد الموحدين أو طبيعته ومجال حياته وجوانب فكره ومناحي سلوكه.

"ومن هذا المنظور فقط يمكننا أن نفهم الكثير من روائع **مالك بن بنى** الفكرية كالمسلم في عالم الاقتصاد، ودور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، وفكرة كومنولث الإسلامي، وشروط النهضة، ووجهة العالم الإسلامي...الخ."[1]

-الدكتور أحمد كافي:

كثيرون لا يكون لأفكارهم العظيمة صدى في زمانهم لعدم استعداد مجتمعاتهم ساعتها على التعلق بسائر الأفكار النيرة التي يعتنقها ويؤمنون بها وينادون للنحت فيها. إنها أفكار عظيمة لا نجد شروط حضورها واقعا في حياة الناس **ومالك بن بنى** هو واحد من هؤلاء العظام الذين لم تكن استجابة الأمة لما ارقهم وصاحوا صيحتهم وأذنوا في أمتهم بمكامن ضعفها كي تفقه كثراتها ومكان القوة الكامنة في مجموعها كي تفقه مفاصل الانطلاق للنهضة والرقي.

ولئن كان العصر الذي ينشأ فيه المفكر والعالم العبقري لا يساعد نظرياته أن نجد طريقها إلى واقع الناس يتنفسون ويهرولون من أجل الاستنجاد به، فإن المسؤولية عظيمة عليه أن لا يركن إلى التوبيخ والتقريع وأن يتقن بعدم إفادتها بما تنتظره منه إن كانت عاجزة عن معرفة دائها وشروط نهضتها ودواعي النهوض الذي ترتكز على أن

[1] المرجع السابق، ص128.

يؤدى العالم والمفكر الملتزم مسؤولية تجاه أمته وهكذا كان **مالك بن بنى** ومن هنا نتطرق إلى مكانة **مالك بن بنى** ففي ارض المهجر وبلاد الغزوة الاستعمارية التي سيطرت نفوذها بقوة الحديد على بلاده ومعظم البلاد الإسلامية، من هنا صدع ابن نبي برأيه وأفكاره فأصدر بمفهوم قومه "الظاهرة القرآنية" "لبيك" "شروط النهضة" ،"جهة العالم الإسلامي"، "الفكرة الإفريقية الآسيوية"، وقد صدع برأيه غير منتصر لآمال قومه فحسب ولكنه منتصر لقيم الحق والعدالة التي تتعالى على الأزمات ولا توجد مثل هذه النفحات الفكرية إلا بمقدار ما يرتبط الإنسان بالوحي.

ولقد بين أن الأعطاب التي وقع الابتلاء بها أعطاب حضارية فكانت عناوين ما تعطى الكتاب فيه بفكر وروية هو عنوانه الشهير لكتبه مشكلات الحضارة لقد أراد لما اختاره أن يحقق أمرين الأول: أن يساهم في الدفع بعجلة النهضة ببيان نشر كيفية التخلص من العجز وكيف النهوض من البركة الآسنة للتخلف.

الثاني: أنه أراد بالمعادلة أن يدفع عن نفسه تهمة التآمر وأنه رجل معارض له "أفكاره وآراؤه وليس ممن يقولون أمرا في السر مخالفا لما يعتقده ويعمل به في العلن وأن مما ابتلى به كثير من المصلحين عدم الصدع بما يعتقدونه فتراهم يعتقدون أمرا ويعملون خلافه ولربما تورطوا في الأسرار بما يجعلهم لقمة سائغة للمبتدئين أن يستغيثوا بهم دون أن يجدوا النظير من أقوامهم ودون أن يكون ثمن مظلمتهم ديون ما كانوا ثمنا له"[1].

[1] المرجع السابق، ص129،130

خاتمة

خاتمة:

وفي خاتمة هذه الرسالة التي تناولنا من خلالها إشكالية: سؤال الإنسان في الفكر العربي المعاصر،ر نصل إلى جملة من النتائج نرى أنها مفتاح للبحث واهم النتائج المتوصل إليها هي أن سؤال الإنسان في الفكر العربي الإنساني تناولت اشكالية الإنسان من ناحية مجملة تكشف عنها الاياة القرآنية والاحاديث النبوية التي تتحدث عن خلق الإنسان، واصل تكوينه وتفضيله عن بقية الخلق.

وتتحدث كذلك عن مهمته الوجودية التي من اجلها خلق، وتتحدث عن القيم المساعدة للانسان في أداء مهمته الوجودية كالحرية، العدل، المساوات، ولهذا كان استقصاء الشرع أمر ضروري.

وخلاصة القول أن سؤال الإنسان في الفكر العربي المعاصر موجود بقوة ولازال في نصوصنا المؤسسة في أطروحات فلاسفتنا ومفكرينا، ومن الناحية المقابلة طرح سؤال الإنسان في الفكر الغربي في ضوء مغايرة تماما لتلك التي مر بها الفكر العربي الإسلامي في بدياته، لدحض سلطة الكنيسة لدحض سلطة الدولة واعلاء قدر الإنسان، هذا أن دل على شيئ فانه يدل على أن الدين الإسلامي حفظ حث الإنسان على خلاف الديانات التي سبقت.

أما بالنسبة لدراسة مالك بن نبي للإنسان فهي تتعلق بفلسفته الحضارية حيث ربط الإنسان مستقبله بالحضارة، إذ أن لا حضارة بدون إنسان، وهنا كان لمالك بن نبي مفهوم خاص بالإنسان، فرأى انه مشكلة من بين المشكلات التي تنحل بها مشكلة الحضارة، لأنه وكما قال " كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة" وكل المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته.

وهنا نرى أن دراسة مالك بن نبي للإنسان تتعلق بفلسفة اجتماعية وهذا ما سبق إليه ابن خلدون الذي رأى أن أحوال البشر تختلف باختلاف بيئتهم وهذا دليل على لن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة منها نشا واليها يعود، وهو الجهاز الاجتماعي الأول بحركته يتحرك المجتمع والتاريخ وتتطور أو تتخلف الحضارة إذا كان الإنسان عاجزا عن مواجهة واقعه، لذا نجد أن مالك ركز على بناء إنسان متكامل متوازن حاضرا شاهدا، لان الإنسان هو الهدف ونقطة البدء في التغيير، وفي هذا يخص مالك بن نبي الإنسان المعاصر الذي تخلص من رواسي الماضي وحافظ على توازنه النفسي، استطاع أن يخلص نفسه من كل السلبيات التي تسيطر على نمو فكره وسلوكه، ومن هنا نجد أن مالك بن نبي حد للإنسان المعاصر عدة أبعاد وسطرها وفي ما يخدم التماسك ففيما يخص البعد

الأخلاقي قال فيه لا يمكن أن يتحقق التماسك والتضامن الاجتماعي بغير المنظومة الأخلاقية، والمجتمع لا يقوم إلى بما يحمله من أخلاق إذ أن بدون الأخلاق تتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية في حد ذاتها بعد من أبعاد الإنسان الذي أراد مالك بنائه، إضافتا إلى هذين البعدين نجد البعد الجمالي والبعد الاقتصادي وهنا نجد أن مالك يؤكد على الوعي الاقتصادي الشامل وهذا في حدود ما يقتضيه القران الكريم، لان الدين الإسلامي هو دين الوسط.

لا ننسى أن مالك ابن نبي سبق معاصريه في ترسيخ معاني الحضارة وإقامة أسسها والسعي نحو التغيير وهذه المسالة قد حام حولها بعض الفلاسفة والمفكرين الغربيين وان كان بالمعنى الضيق الغير صريح، ولكن مالك بن نبي أول من وفاها حقها من البحث و الاستفسار ودليل ذلك انه الم بكل أطرافها وأحاط بكل مكوناتها بما فيها الإنسان، وعلاقته بالمجتمع ودور الدين والثقافة في تجديد حياة الإنسان والمجتمع وحتى التاريخ وبروز المشكلات الحقيقية في نشوء الضمير الإنساني وهذا ما تطرقنا له بدورنا في هذا البحث.

لكن برغم من وجود النية الخالصة لتغيير إلى أنها ليست شرطا كافيا، بل يحتاج الأمر إلى معرفة بسنن التغيير وبناء علاقات مستمدة من البعد الديني، وذلك عن طريق تأسيس جديد يسميه مالك بن نبي تجديد الصلة بالله عز وجل من اجل الفعالية الاجتماعية للعقيدة، بالعودة إلى القران الكريم ليكون منهجا علميا في حياة المسلم، فهو عبارة عن الطاقة الحيوية والقوة الفاعلة ليغير القيم من الحالة الفطرية وهي حالة الإنسان الطبيعي إلى حالة نفسية اجتماعية، حضارية فهو ينير السبل ويدفع بعجلة التاريخ وبه يكون للإنسان روح متأججة كلها إيمان تسمو نحو المثل العليا وبهذا يكون المجتمع متماسكا مترابطا.

ومن هنا نجد أن حياة الإنسان المسلم ومستقبله تساوي نهضة الحضارة، ونهضة الحضارة العربية الإسلامية تكون باكتساب أهلها الإيمان وإتباع العقيدة منهجا للفرد والجماعة، لان القران يعيد تشكيل العقل وعقل المسلم هو أساس النهضة إذا ما أعيد تشكيله بالعودة إلى القران، والإنسان مرحلة من مراحل التطور الإنساني ومن هنا الإنسان المسلم بفضل إسلامه لا غير يستطيع انقاض الإنسانية المتورطة في الضياع رغم علمها، ولكي يقوم برسالته لا بد من تحقيق الإقناع لان فاقد الشيء لا يعطيه وهذا لا يتوفر إلا بالتغيير الداخلي للمسلم لان دور المسلم وفعاليته هي أساس التغيير والنهضة باعتبار انه محور للحضارة، وصانع لثقافة ومحرك لتاريخ.

وفي الأخير نتمنى أن تأخذ أراء وأفكار هذا المفكر والفيلسوف مكانة هامة في الوطن وخارجه خاصة في العالم العربي للاستفادة منها، فمالك بن نبي له أراء تربوية وفكرية حبذا لو درست من طرف المسؤولين عن التعليم

في الجزائر وحبذا لو كانت هناك محاولة ولو بسيطة بتطبيقها على ارض الواقع، وهنا نرى أن أفكار مالك بن نبي لا تزال تحتاج إلى دراسات عميقة.

قائمة
المصادر والمراجع

القران الكريم.

الحديث النبوي الشريف

قائمة المصادر:

1) مالك بن بني، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1986.

2) مالك بن بني، من أجل التغيير، دار الفكر العربي المعاصر، دمشق سوريا، ط(5)، 2005.

3) مالك بن بني، مشكلة الثقافة، (تر) عبد الصابور شاهين، دار الفكر دمشق، سوريا، ط(2) 1984.

4) مالك بن بني، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (تر) بسام بركة، دار المعارف دمشق، ط(1) 1992.

5) مالك بن بني، شروط النهضة، (تر) عبد الصابور شاهين، كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، د (ط)، 2000.

6) مالك بن بني، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.

7) مالك بن بني، دراسة استقرائية، معالم المنهج في تأصيل العلم الإنسانية، دار النايا، دار المحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق،ط(1)، 2012.

8) مالك بن بني، د (ت) ميلاد مجتمع، (تر) عبد الصابور شاهين، المحامي عمر المسقاوي، طرابلس لبنان.

9) مالك بن بني، تأملات، دار الفكر دمشق، ط(5)، 1991.

10) مالك بن بني، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا ط(03)، 1987.

11) مالك بن بني، القضايا الكبرى، دار الفكر،ط(1)، 1991.

12) مالك بن بني، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، (تر) عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق، ط(3) 2001.

قائمة المراجع:

13) يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د (ط) د (ت).

14) هادي أحمد قيس، الإنسان المعاصر عند هربزن ماركيوز، المؤسسة العربية للنشر 133 برج الكارلتون بيروت. ط (1) 1997م 1400هـ.

15) نور الدين مسعودان، مالك ابن بني حياته وأثاره، شهادات وموقف، دار النون والقلم د (ط)، د (ت).

16) نجيب زكي محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة محمد مجد للتأليف والنشر، القاهرة د (ط) 255هـ 1981م.

17) النجار عبد المجيد، العقل والسلوك في البيئة الإسلامية منشورات مطبعة الجنوب، مدين تونس، د (ط) 1400هـ 1970م.

18) ميشال فوكو، الفرد والمجتمع، مؤسسة مصطفى أنسو للطباعة والتجارة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، د (ط). 2009.

19) مناد محمد علي، مقومات فهم الحضارة الإسلامية بيروت، مؤسسة الرسالة طرابلس، لبنان، د (ط)، 1991.

20) محمد معاذ، دار الفكر العربي، د (ط)، د (ت) الفلسفة الربانية، الرسالة الأولى والله العالمين، شرح ترجمة محمد.

21) محمد ماهر عبد القادر، وعطيتو حربي عباس، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعارف الجامعية،د (ط)، د (ت).

22) محمد فؤاد شبل. حكمة الصين، ج (1)، دار المعارف مصر، د (ط)، د (س).

23) محمد عثماني تيجاني، القرآن وعلم النفس، ط (1)، دار الشروق، بيروت ط (1) 1986.

24) محمد حسن، التيارات الفلسفية الشرقية، دار علاء الدين، د (ط). 2008.

25) محمد بغدادي باي، التربية والحضارة بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقاتها بالحضارة في منظور مالك ابن بني، دار الغرب الجزائر، ط(1). 2015.

26) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، د (ط)، د (ت).

27) كاربل، الفكر الصيني من كونفيشيوس إلى ماوتسى تونق، (تر) عبد المجيد سليم الهيئة المصرية العامة للكتاب. د (ط) 1998.

28) قعدان زيدان عبد الفتاح، العقل البشري محاولة لفهم عصري، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط (1). 2009.

29) فوزية بريون، مالك ابن بني عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر دمشق ط(1) 1431هـ - 2010م.

30) غاري التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقديم، دار القلم بيروت، لبنان ط(3).

31) غارى التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقديم، دار القلم بيروت، لبنان ط(3) 1977.

32) عمر مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك ابن بني من على منبر الجزائر، دار الفكر، دمشق سوريا، ط(1).

33) عمر محمد صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط (1) 1998.

34) علي قيس أحمد، أصول التربية، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط (1)، 2010.

35) عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، دراسات تحليلية في فلسفة الحضارة عند مالك ابن بني، دار الفكر دمشق، سوريا ط(1) 1986.

36) عبد المجيد صالح العزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف بمصر ج(1)، ط(2) 1954.

37) عبد الله ابن محمد العوسي، مالك ابن بني حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنصر د (ط)، د (ت).

38) عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور وكالت الوسطى المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، ط (3) 1979.

39) عبادة عبد اللطيف، فقه التغيير في فكر مالك ابن بني، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع ط(1) 2006.

40) عبادة عبد اللطيف، صفحات مستشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر،ط(1)، 1984.

41) عائشة عبد الرحمان، القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين، (2). بيروت 1970.

42) طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة الأردن عمان، د (ط)، 1995.

43) سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك ابن بني، دراسة في ضوء الواقع المعاصر، المعهد العالي للفكر الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط(1) 1993.

44) السحمراني أسعد، مالك ابن بني مفكرا إصلاحيا، دار النفائس بيروت، ط(2) 1986.

45) حمدي عبد الله، بدايات التفلسف الإنساني الفلسفة ظهرت في الشرق، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط (1). مارس 1993.

46) حسن الميداني عبد الرحمان، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم بيروت ط (1) 1299هـ 1979م ج (1).

47) أمينة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك ابن بني،ورلوند توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د (ط)، د (ت).

48) الإمام مسلم ابن حجاج ابن مسلم القشري النيصبوري، مطبوعة عيسى البابلي الحلبي، ج (1) القاهرة د (ط)، د (ت).

49) أحمد شبلي إبراهيم، تطور الفكر السياسي، الدار الجامعية، د (ط) 1985.

50) أبو زيان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، دار الكتب الجامعية، ط(1) 1979.

51) ابن طفيل، حي ابن يقضان، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط(3)، د (ت) 1980.

52) ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، نقلا عن سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك ابن بني، دراسات في ضوء الواقع المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط(1) 1993.

53) إبراهيم رضا، مالك ابن بني من حضارة الكم والأشياء إلى حضارة الإنسان والقيم ضمن رحابة الإنسان والإيمان.

قائمة الموسوعات والمعاجم:

54) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج(1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط(1) 1984.

55) هوتور تشت.، دليل اكسفورد للفلسفة، (تر) نجيب الحصادي المكتب الوطني للبحث والتطوير د(ط) د (س).

قائمة المقالات والمجلات:

56) محمد عاطف، مقومات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك ابن بني، إشراف الدكتور طالب محمد مناد، جامعة الجزائر. 2007- 2008.

57) عبودة العسكري، مشكلات الحضارة بين ابن خلدون وابن نبي، دراسات مالك بن نبي والمشروع العربي، العدد20، جامعة حلب سوريا، 2003

58) سعد عزيز دحام، دراسات في الأبحاث والتراث، الحوا المتمدن 27- 12- 2017.

59) عبودة العسكري، مشكلات الحضارة بين ابن خلدون وابن بني، مجلة رؤوف فضيلة، العدد 20. 2003.

60) عبد القادر بوعرفة، مالك ابن بني الراهن والمستقبل، دراسة نقدية لرسم معالم البنابية الجديدة، الملتقى الدولي مالك ابن بني واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديدة في إطار تظاهر تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، تلمسان 12- 13- 14 ديسمبر 2001م .

61) صالح ابن أحمد الشامي، الإنسان في العالم القديم، مقالات متعددة 24- 12- 2017.

62) شريط الأخضر، مشكلة التاريخ عند مالك ابن بني، جامعة الجزائر 1985، 1986.

63) سعيدة حمودة، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك ابن بني، الموافقات مجلة جامعية تعتني بالبحوث الإسلامية، مجلد 03، العدد 03.1994.

قائمة المذكرات:

64) محمد عاطف، مقومات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك ابن بني، إشراف الدكتور طالب محمد مناد.

المواقع الإلكترونية:

- موقع شامل، الموسوعة الحرة البحوث 18- 03- 2018. 12:30 Bohoot. Hlogspot. Com
- عبد القادر بوعرفة، نظرية الحضارة عند مالك ابن بني almiled @almiled.org
- عبد القادر بوعرفة، بتر الخواطر من كتاب الحضارة وكر التاريخ bourabalr. Blogdpot. com

– فهرس الإعلام:

الرقم	العربية	الانجليزية
01	ابن باجة	Son of Beja.
02	كانت	she was
03	هيجل	Hegel
04	عتيد	Atid
05	اوزوريس	Osiris
06	حمورابي	Hamorabi
07	تشانغ	Zhang
08	تانغ	Tang
09	هاسيا	Hascia
10	تشو	Zhou
11	تينا تزو	Tina Tsu
12	مونشيوس	Mauritius
13	كشاترجي	Kachaterji
14	داتا	Data
15	كريشنا	Krishna
16	مانو	Manu
17	سقراط	Socrates
18	أفلاطون	Plato
19	أرسطو	Aristotle
20	هاربرت ماكيوس	Harper Macius
21	اوغسطين	Augustine
22	ديكارت	Descartes
23	هوبس	Hobbs
24	مالك بن نبي	Malik bin Nabi
25	إبراهيم رضا	Ibrahim Reza

26	جون ديوي	John Dewey
27	ارلوند توينبي	Arlund Toynbee
28	اوزولد سنجلر	Oswald Singer
29	ابن خلدون	Gilly Boubaker
30	مصطفى السباعي	Mustafa Sbai
31	عمر مسقاوي	Omar Masqawi
32	محمد مبارك	Mohammed Mubarak
33	محمد الميلي	Mohamed El-Milli
34	عمار طالبي	Ammar Talbi
35	عبد القادر بوعرفة	Abdelkader Bouarfa
36	راشد الغنوشي	Rashid Ghannouchi
37	جيلالي بوبكر	Gilly Boubaker
38	عبادة عبد اللطيف	Abdul Latif
39	احمد كافي.	.Ahmed Kafi

فهرس المصطلحات والمفاهيم:

الرقم	العربية	الفرنسية
01	الصبيانية الاقتصادية	Economisme
02	الحصر	Obsession
03	البشر الاقتصادي	Homme economiseus
04	الفاعلية	Efficacité
05	المصداقية	authentcuté

فهرس الآيات:

الرقم	السورة	رقم الاية	الصفحة
01	التين	04	أ
02	ص	72–71	19
03	التين	07	19
04	آل عمران	95	20
05	السجدة	9–8–7–6	20
06	الكهف	51	20
07	الإنسان	01	21
08	الانبياء	30	21
09	النور	45	21
10	الفرقان	54	21
11	آل عمران	59	22
12	غافر	67	22
13	الروم	20	22
14	السجدة	6الى9	22
15	الصافات	11	22
16	الحجر	26	23
17	الرحمن	14	23
18	ص	72–71	23
19	الاعراف	189	23
20	الزمر	06	23
21	النساء	01	24
22	المومنون	14–12	24
23	البقرة	36	25
24	البقرة	30	25
25	الأنفال	63	32

26	البقرة	143	36
27	البقرة	30	41
28	البقرة	39–38	42
29	البقرة	117–116	42
30	البقرة	164	42
31	الاسراء	70	54
32	الرعد	11	55
33	الصف	09	66

قائمة المختصرات

ص	الصفحة
تح	تحقيق
د – ط	دون طبعة
د – س	دون سنة
ج	جزء
ع	العدد
.تر	ترجمة

الملاحق

حياته:

ولد في 5 ذو القعدة 1323 هـ الموافق لـ فاتح جانفي سنة 1905 م بمدينة قسنطينة شرق الجزائر وترعرع في أسرة إسلامية محافظة.[7] فكان والده موظفًا بالقضاء الإسلامي حيث حول بحكم وظيفته إلى ولاية تبسة حين بدا مالك بن نبي يتابع دراسته القرآنية. والابتدائية بالمدرسة الفرنسية. وتخرج سنة1925م بعد سنوات الدراسة الأربع.

سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددًا إلى مسقط رأسه. وبعد العودة تبدأ تجارب جديدة في الاهتداء إلى عمل، كان أهمها، عمله في محكمة آفلو حيث وصلها في مارس 1927 م احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده. وقد استقال من منصبه القضائي فيما بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية

أعاد الكرة سنة1930 م بالسفر لفرنسا ولكن هذه كانت رحلة علمية. حاول أولاً الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلا أنه لم يكن يسمح في ذلك الوقت للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات. فتركت هذه الممارسات تأثيرًا كبيرًا في نفسه. فاضطّر للتعديل في أهدافه وغاياته، فالتحق بمدرسة (اللاسلكي) للتخرج كمساعد مهندس كهربائي، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي أو السياسي.

انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه **الظاهرة القرآنية** في سنة 1946 ثم **شروط النهضة** في 1948 باللغة الفرنسية و قد ترجم الكتاب إلى العربية عام 1960 م وقد أضاف ملك بن نبي فصلين إلى النسخة العربية [8]، الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار ووجهة العالم الإسلامي 1954 ، أما كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي فيعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

انتقل إلى القاهرة هاربا من فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية سنة1954 م تاركا وراءة زوجته التي رفضت مرافقته فرنسا التي لم يعد إليها إلا في 1971 حظي في مصر باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الآسيوية .1956 وعين مستشارا منظمة التعاون الإسلامي منصب سمح له بمواصلة الكتابة الفكرية وإرسال المال ليعول زوجته في فرنسا.

طور مالك بن نبي معرفته باللغة العربية حيث راجع كل كتبه المترجمة للغة العربية وشرع بالكتابة بالعربية وإلقاء المحاضرات بالعربية وزار سوريا ولبنان لإلقاء محاضرات هناك

عاد مالك بن نبي في 1963 للجزائر بعد إستقلالها، فعين سنة 1964 كمدير عام للتعليم العالي، فقام ،واصل مع ذلك إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدرله **آفاق جزائرية** (Perspectives algériennes) وكذلك الجزء الأول من مذكراته.

استقال من منصبه سنة 1967، ليتفرغ كلية للعمل الفكري الإسلامي والتوجيهي. فساهم بمقالات متتابعة في الصحافة الجزائرية خصوصًا في مجلة) "Révolution Africaine" الثورة الإفريقية) التي شارك فيها إلى سنة 1968 بمقالات في صميم تصوراته حول إشكالات الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع، وقد جمعت هذه المقالات كلها في كتاب بعد وفاته.

1973 -1968أوصى مالك بعض المقربين إليه من الطلبة الذين كانوا يتابعون حلقاته ببيته، خصوصًا الذين كانوا يشتغلون بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بتنظيم ملتقيات لتوعية الأجيال الصاعدة كما حث على فتح مسجد بالجامعة المركزية، وفي خضم الصراعات الفكرية والمذهبية، ولو كان ذلك بمقدار متر مربع واحد.

طُبعت العديد من الكتب عن حياته وفكره، خاصة من قبل المهتمين بالنهضة والإصلاح، من أهمها: (في صحبة مالك بن نبي) و(مقاربات حول فكر مالك بن نبي) الذان كتبهما عمر كامل مسقاوي ، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية، والوصي على نشر كتبه.

مؤلفاته:

تحلّى مالك ابن نبيّ بثقافة منهجيَّة، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلِّف، فألف سلسلة كتب تحت عنوان " مشكلات الحضارة" بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، وهي:

- الظاهرة القرآنية.1946
- شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في1957.
- وجهة العالم الإسلامي 1954.
- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة...الشعب الجزائري يباد 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي 1958.
- مشكلة الثقافة 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960 (ألحق بكتاب تأملات)
- تأملات 1961.
- في مهبِّ المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.
- مذكرات شاهد للقرن _الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.
- الإسلام والديمقراطية 1968.
- مذكرات شاهد للقرن _الطالب 1970.
- معنى المرحلة 1970.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (محاضرة ألقيت في 1972)
- بين الرشاد والتيه 1972.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1972.
- من أجل التغيير.
- ميلاد مجتمع.

مالك بن نبي

الفهرس

كلمة شكر .....
إهداء .....
الموضوع
الصفحة
مقدمة ..... أ
الفصل الأول: الإنسان المفهوم والإشكالية
المبحث الأول: مفهوم الإنسان 05
المبحث الثاني: الإنسان في الحضارات الشرقية 07
المبحث الثالث: الإنسان في الفكر الفلسفي 13
الفصل الثاني: الإنسان عند مالك بن نبي
المبحث الأول: الإنسان بكل أبعاده 32
المبحث الثاني: فعالية الإنسان في البناء الحضاري 37
المبحث الثالث: علاقة الإنسان بالمجتمع ودور الدين والثقافة في التجديد الحضاري 51 .....
الفصل الثالث: قراءة نقدية لفكر مالك بن نبي
المبحث الأول:مالك بن نبي بقلم معاصريه.....61
المبحث الثاني:مالك بن نبي في ميزان النقد.....64
خاتمة 85
قائمة المصادر والمراجع
فهرس الاعلام
فهرس المفاهيم والمصطلحات
فهرس الآيات
قائمة المختصرات
الملاحق

ملخص :

ان الانسان هو العنصر الاهم فهو يحتل مكانا مركزيا في نظرية الحضارة، حيث يمثل الجهاز الاجتماعي الاول..."
فاذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ"

اما الانسان المسلم فكل مشكلات العالم الاسلامي تنبع منه وتعود اليه، لذا نجد مالك بن نبي قد بحث في زواياه النفسية والاجتماعية والثافية، وفي هذا اخذ العوامل السياسية والتاريخية، واولى الاهتمام بشروط والقوانين والسنن التي تؤهل هذا الانسان لتغيير نفسه اولا ومن ثمة تغيير مجتمعه وإيجاد دور لامته في التاريخ.

ترجمة الى الفرنسية

L'homme est l'élément le plus important, il occupe une place centrale dans la théorie de la civilisation, où il représente le premier organe social ... "Si l'homme fait bouger le mouvement de la société et de l'histoire"
Quant à l'homme musulman, tous les problèmes du monde islamique lui viennent et lui reviennent: Malik bin Nabi aborde donc ses aspects psychologiques, sociaux et culturels et prend en compte les facteurs politiques et historiques et prend soin des conditions, lois et lois qui permettent à cette personne de se changer d'abord. Sa mère dans l'histoire.

الترجمة الى الانجليزية

Man is the most important element, he occupies a central place in the theory of civilization, where he represents the first social organ ... "If man moves the movement of society and history"
As for the Muslim man, all the problems of the Islamic world stem from him and return to him. Therefore, Malik bin Nabi has discussed his psychological, social and cultural aspects. In this regard he takes the political and historical factors and takes care of the conditions, laws and laws that qualify this person to change himself first. His mother in history.

قائمة
المختصرات